الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي جامعة 8 ماي 1945 قالمة
Ministère de L'enseignement Supérieur Et de la recherche scientifique
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
Université 8 Mai 1945 Guelma
كليّـــة الآداب واللّغـــات
Faculté :des lettres et des langues
قسم اللّغة والأدب العربي
Département Lettre et Langue arabes
الرّقم:.....
Nº .....

مذكّرة مقدَّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستـــــــــر

(تخصّص: لسانيّات تطبيقيّة)

السّمات التّداوليّة في الحديث النّبوي الشّريف

- موطّأ الإمام مالك أنموذجا-

مقدّمة من قبل:
الطّالبة: غادة شوايشيّة

إشراف:
الدّكتور وليد بركاني

تاريخ المناقشة:

أمام لجنة المناقشة:

الاسم واللّقب	الرّتبة	الصّفة	مؤسّسة الانتماء
د.	أستاذ محاضر " "	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945
د. وليد بركاني	أستاذ محاضر"أ"	مشرفا ومقرّرا	جامعة 8 ماي 1945
د.	أستاذ محاضر " "	ممتحنا	جامعة 8 ماي 1945

السّنة الجامعية: 2021/2020

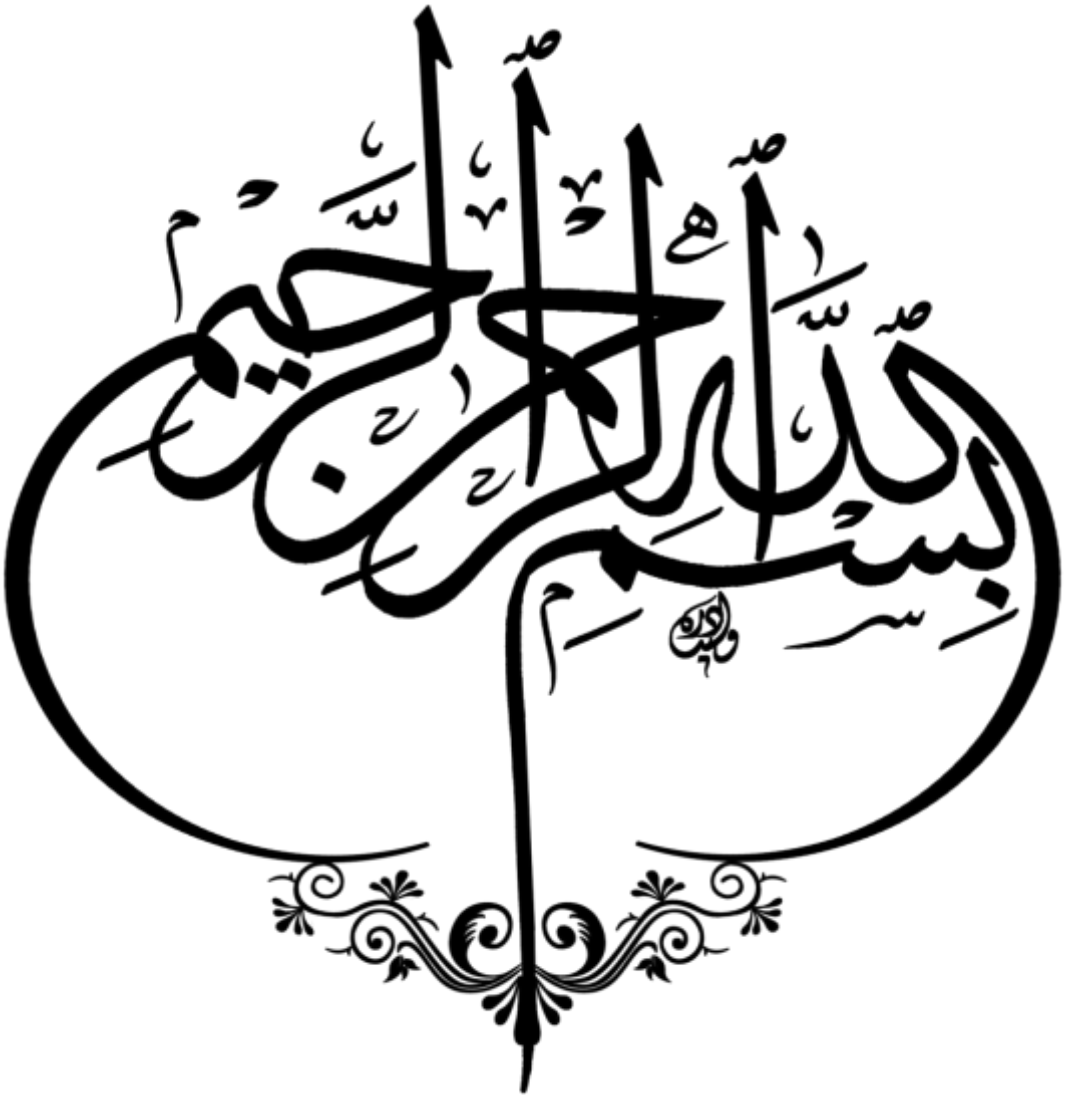
بسم الله الرحمن الرحيم

الشّكر والتّقدير

الحمد لله على النّعم الّتي أنعم بها علينا، نعمة الإسلام، ونعمة العلم، والشّكر له على توفيقه.

ونشهد أنّ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، ونشهد أنّ سيّدنا محمد عبده ورسوله-صلى الله عليه وسلم- وعلى آله و أصحابه

وبعد نتقدّم بجزيل الشّكر إلى من شرّفنا

بإشرافه على رسالتنا الدّكتور:"**وليد بركاني**"، الذي لا تفيه الحروف حقّه لصبره علينا، وتوجيهاته

العلميّة الّتي ساهمت بشكل كبير في إتمام هذا العمل

نسأل الله أن يسدّد خطاه ويرفع مقامه في الدّارين.

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى:

إلى الوالديّن الكريميّن أطال الله في عمرهما

إلى زوجي " أمين" حفظه الله لي

إلى قسم اللّغة والأدب العربي

مقدّمة

مقدّمة:

تأخذ التّداوليّة من اللّغة موضوع بحث لها ولا تكتفي بدراسة ووصف وتفسير البنى اللّغويّة والتّوقف عند حدود أشكالها الظّاهرة فحسب بل تتعدّى ذلك إلى ما وراء الأشكال من معاني ومقاصد ضمنيّة موجودة في البنيّة العميقة للخطاب، فهي تساعد في الكشف والإفصاح عن القصديّة في العمليّة التّواصليّة، حيث تركّز على الدّلالة من خلال السّيّاق التّخاطبي، وبهذا يصبح استعمال اللّغة هو جوهر الدّرس والبحث التّداولي.

ولما كانت العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة تتحدّد من خلال مجموعة من العناصر تجمعها علاقات تواصليّة ابتداءً من المرسل أو المتكلّم الذي يوجّه الخطاب محاولا إنجاحه، مرورا بالرّسالة وفحواها وخصائصها التّي من شأنها أن تضمن نجاح الخطاب وصولا إلى المتلقّي أوالمرسل إليه الذي يحاول فهم القصد من الرّسالة استنادا إلى قدراته العقليّة وخلفيّاته المعرفيّة، فإنّ التّداوليّة وآليّاتها تحاول رصد مختلف هذه العلاقات وما تستلزمه من خصائص للوصول إلى القصديّة الحقيقيّة التّي أنتج من أجلها الخطاب

وتسعى التّداوليّة –كتوجّه معرفي ومنهجي– للوصول إلى الدّلالة الكاملة الكامنة في مختلف النّصوص والخطابات؛ ومن أبرز الخطابات التّي تتجلى فيها السّمات التداولية بامتياز الخطاب النّبوي الشّريف، سواءً من جانب الأفعال الكلاميّة أومن جانب الاستلزام الحواري أومن جانب الافتراض المسبق، أما جانب الحجاج وآليّاته فحدّث ولا حرج. هذا ما أثار فضولنا إلى اختيار هذا الموضوع لمعرفة مجموع الخصائص التّداوليّة التّي احتواها حديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ودلالتها، وعليه جاء عنوان بحثنا موسوما بـ"**السّمات التّداوليّة في الحديث النّبوي الشّريف– دراسة في نماذج من موطّأ الإمام مالك**"

وتتجلّى إشكاليّة بحثنا في السّؤال الرّئيس الآتي:

ما هي الأبعاد التّداولية المتجلّية في الحديث النّبوي الشّريف؟ وكيف نستفيد من تطبيقها في خطاباتنا اليوميّة؟

وانطلاقا من هاته الإشكاليّة تمّ وضع الفرضيّات التّاليّة:

- أحاديث الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– مجال واسع لتحقيق الأغراض الإنجازيّة والأهداف المرجوّة من مختلف الأفعال الواردة فيه.

- الأساليب الواردة في الخطابات النّبويّة تتميّز بالدّقّة والنّوعيّة والإبداعيّة والطّاقة الحجاجيّة في إيصال المعنى إلى المتلقّي.
- الحديث النّبوي الشّريف يحافظ على التّفاعل والتّأثير في المتلقّين من خلال المميّزات التّي يتميّز بها عن غيره من الخطابات.

وبناءً على ما سبق كان اختيارنا لكتاب: **موطّأ الإمام مالك** ليكون مدوّنة بحثنا نظرا لقلّة الدّراسات التّداوليّة التي تناولته، وكتاب الموطّأ –حسب رأينا– هو الأنسب لهذه الدّراسة لأنّ الإمام مالك راعى فيه كل ملابسات المقام وتفاصيله في نقله لأحاديث الرّسول من ذلك وصف مناسبة الحديث بدقّة وكذا هيئة الرّسول الكريم وإشاراته المصاحبة لكلامه هذا ما يسهّل دراسة الأحاديث الواردة فيه وفق المنهج التّداولي.

وعليه فإنّ أسباب اختيارنا لموضوع بحثنا هذا، هي:

- الرّغبة في الخوض في مجال التّداوليّة لاسيما في جانبها الإجرائي التّطبيقي.
- الرّغبة في معرفة المقاصد الضّمنيّة والحقيقيّة التّي احتوتها أحاديث الموطّأ بحكم أنّ هذه الأخيرة وبعد القرآن الكريم هي التّي تنظّم معاملاتنا وأعمالنا وعباداتنا في مختلف نواحي الحياة.
- ربط الجانب الدّيني بالجانب اللّغوي لاسيما التّداولي الاستعمالي ورصد العلاقة بينها.
- الرّغبة في جعل هذا البحث مزيجا بين الأصالة والمعاصرة، مزيجا يلتقي فيه التّراث بما هو حديث ومعاصر.

وتكتسي دراستنا هذه أهميتها من خلال:

- سعيها إلى الاستفادة في تطبيق الدّراسات النّظريّة الغربيّة على التّراث العربي الأصيل.
- سعيها إلى تقريب محتوى ومقاصد الحديث النّبوي إلى طلبة اللّسانيّات التّطبيقيّة واللّسانيّات العامّة في مختلف أطوار التّكوين.

وبهذا يسعى بحثنا إلى تحقيق مجموعة من الأهداف نذكر منها:

- الكشف عن الخصائص التّداوليّة ومختلف السّمات التّي تتوفّر عليها أحاديث الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم.
- الكشف عن أنواع الأساليب التّي اعتمدها الرّسول في توجيه خطابه ودلالاتها والقصد الذي تفضي إليه.

- السّعي إلى معرفة كيف تجلّت أحدث النّظريّات والتّوجّهات في أقدم الخطابات .

ومن بين الدّراسات السّابقة للحديث النّبوي في هذا المجال والتّي كانت قريبة نوعا ما من بحثنا نذكر:

- الاستلزام الحواري في الحديث النّبوي الشّريف للباحثة كريمة عبد الباقي الذي توصّلت فيه إلى أنّ الأساليب الواردة في أحاديث الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم كلّها ذات دلالات صريحة كما حملت في طيّاتها دلالات ضمنيّة مستلزمة.
- أساليب الطّلب في الحديث النّبوي الشّريف دراسة بيانيّة في الموطّأ للدّكتور عبد الله محمّد سعيد التي توصّل فيها إلى أنّ الأفعال الطّلبيّة الواردة في الحديث النّبوي الشّريف تمّ تحقيقها بصورة مباشرة وذلك كلّما توفّرت القرآئن الكافيّة لذلك وهذا راجع إلى خصائص لغة الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم بخاصّة ولخصائص اللّغة العربيّة بعامّة التي تتيح للمخاطب مجالا واسعا من الخيّارات لانتقاء البنى اللّغويّة المناسبة للتّعبير عن القصد.
- الصّورة البيانيّة للحديث النّبوي الشّريف للدّكتور حمد أحمد الحمداني، التي توصّل فيها إلى أنّ الصّور البيانيّة عرفت استعمال واسع في أحاديث الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم لأنّها تمثّل الوعاء الذي صبّ فيه النّبي مقاصده وقد استطاع بها أن يبلّغ رسالته العظيمة، بالإضافة إلى رسالة ماجستير ودكتوراه حول الحديث النّبوي.

أما عن منهج الدراسة فقد اعتمدنا على المنهج التّداولي للإجابة عن التّساؤلات المطروحة في الإشكالية من جهة، و جهة أخرى لأنّه الأنسب لدارسة الأحاديث النبوية لأنها ذات بعد تواصلي محض.

وقد سار هذا البحث وفق خطة تضمّنت مقدّمة ومدخل وفصلين تتلوهما خاتمة وقائمة المراجع والمصادر ثم الفهرس العام.

حيث جاء في المدخل التّعريف بالمدوّنة وصاحبها والتّعريف بالتّداوليّة وأهم مباحثها وأهميّتها وأهدافها، ثمّ الفصل الأوّل وهو فصل نظري معنون بـ "**في التّداوليّة**" تناولنا فيه مختلف مباحث التّداوليّة بدءً بالأفعال الكلاميّة ثمّ الإشاريّات ثمّ الآليّات الحجاجيّة فالاستلزام الحواري وصولا إلى الافتراض المسبق.والفصل الثّاني وهو فصل تطبيقي موسوم بـ"**السّمات التّداوليّة في موطّأ الإمام مالك**" تضمّن تطبيق هذه المباحث على أحاديث الموطّأ واستخراج مختلف السّمات التّداوليّة التّي

احتوتها. تلته خاتمة تضمّنت مختلف النّتائج التّي توصّلنا إليها من خلال بحثنا، وبعدها قائمة المصادر والمراجع وفهرس المحتويات.

وقد استفدنا في إنجاز هذا البحث من مصادر ومراجع متنوّعة فرضتها طبيعة الدّراسة التّداوليّة نذكر أهمها:

- التّداوليّة عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي لمسعود صحراوي .
- آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة.
- استرايجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة لعبد الهادي بن ظافر الشّهري.
- الحجاج مفهومه ومجالاته لحافظ إسماعيل علوي .

و لما كان هذا البحث تجربة أولى في مجال التّداولية فقد اعترضتنا فيه بعض الصّعوبات من بينها:

- صعوبة التحكم في مباحث التّداوليّة لتداخلها، لاسيما في التّطبيق على نص الحديث النّبوي الشّريف.
- اختلاف تطبيق آليّات التّحليل التّداولي من دارس إلى آخر.
- اتّساع الموضوع وشموليته لاسيما مباحث التّداوليّة وتطبيقاتها.
- ضِخَم مدوّنة التّطبيق ومنهجها في التّأليف ما جعلنا نستغرق وقتا كثيرا في البحث عن الأحاديث محلّ التّطبيق.
- ضيق الوقت الذي لطالما نحن في صراع دائم معه.

وفي الختام نرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع جهدا موفقا في مسار البحث العلمي، الذي يعود الفضل فيه للأستاذ المشرف الدكتور "وليد بركاني" الذي لطالما كان هو سندنا الذي لجأنا إليه لإنجاز هذا البحث، وأنّ كلمات الشّكر لا تفي بحقه علينا، فله منّا خالص الشّكر والتّقدير وله من الله الأجر والثّواب.

مدخل: قراءة في المفاهيم والأسس

أوّلا: التّعريف بالمدوّنة وصاحبها

ثانيا: قــراءة في التّداولــيّة وحدودها

أوّلا: التّعريف بالمدّونة وصاحبها

1. تعريف الحديث النّبوي الشّريف:

إنّ الرّسالات الّتي كلّف بها الله رسله من البشر هي الرّابطة بين السّماء والأرض، ولقد كانت تلك الرّسالات متّحدة في أصولها؛ إذ نادت كلّها الى عبادة الله تعالى، لقوله عزّ وجل: ﴿**اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾[1].

ولكن هذه الرّسائل بالرّغم من اتّحادها في الأصول والغاية الكبرى إلاّ أنّها مختلفة في الشّرائع والمناهج؛ لهذا بعث كل رسول إلى قومه متحدّثا بلسانهم على ضوء منهج معين وتشريع خاص يختلف من رسول إلى آخر ومن قوم إلى قوم آخر مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾[2]. و لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يختم رسالته إلى أهل الأرض اختار من بين عباده نبيّه المصطفى محمّد بن عبد الله؛ ليرسله إلى النّاس كافّة فأنزل عليه كتابه الأخير "القرآن الكريم" الذي تكفّل بحفظه، وكان للرسول –صلّى الله عليه وسلّم– دورا بارز في شرح وتوضيح ما تضمّنه القرآن الكريم؛ لذلك حثنا الله تعالى على الأخذ بكل ما جاء به الرّسول بل وجعل أمر رسوله من أمره ونهيه من نهيه لقوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[3].

وعليه فإنّ الحديث النّبوي واحد من الخطابات البشريّة، إلاّ أنّهُ صادر من مرسل ليس كغيره من البشر؛ إنّه خطاب صادر من خاتم الأنبياء والمرسلين –محمد عليه الصّلاة والسّلام– فلم يسمع النّاس بكلام قط أهم نفعا ولا أقصر لفظا ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى ولا أبين فحوى من كلامه صلّى الله عليه وسلّم[4].

الحديث النّبوي الشّريف هو كل ما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أقوال وأفعال وأخبار وتقرير ورأي ومشورة وتوجيه في كافّة مجالات الشّؤون المتعلّقة بأمور الدّنيا والآخرة[5].

---

(1) سورة الأعراف: الآية 59.

(2) سورة إبراهيم: الآية 04.

(3) سورة الحشر: الآية 07.

(4) الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 1958، ج2، ص 17-18.

(5) محمود سليم محمّد مياجنة، الخطاب الدّيني في الشّعر العباسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009م، ص 10.

وممّا سبق يمكن القول، أنّ الحديث النّبوي هو كلام منطوق؛ وجّهه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إلى المتلّقين بغية تحقيق مقاصد الشّريعة الإسلاميّة، وتربية الإنسان وهدايته إلى طريق السّلامة في الدّنيا والفوز في الآخرة؛ لذلك نجد الأحاديث النّبوية تشتمل على كثير من الأقوال والأفعال التي تتعلق بالأحكام الفقهيّة وأمور العقيدة وكلّ ما من شأنه أن يرشد ويوجّه المسلم في حياته.

وهو حديث متجدد مرهون بالاستعمال بغضّ النّظر عن الزّمن الذي أنتج فيه فبالرّغم من مرور الزّمن والحِقَبِ الطّويلة إلاّ أنّنا سنبقى نتداول أحاديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ونخرجها من سياقاتها الأصليّة التي قيلت فيها إلى سياقات استعماليّة أخرى توافق مختلف المواقف.

2. التّعريف بكتاب "الموطّأ"

الموطّأ هو الكتاب الذي اشتمل على الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة من كلام الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم، كما يحتوي على اجتهادات المؤلّف وفتواه، بسبب الغاية الفقهيّة التي أرادها الإمام، لذا فكتاب "الموطّأ" ليس كتاب حديث بالمعنى المعروف، وإنّما هو يجمع بين الحديث والفقه، إذ كان الإمام "مالك" يهدف إلى تبيان مَا أَجْمَع عليه أهل المدينة في القضايا الفقهيّة[1].فالموطّأ هو كتاب فقه وحديث في آن واحد فهو كتاب مزدوج المضمون ومزدوج الغايات، وهو من الكتب الصِّحَاح في السّنة، توخّى فيه الإمام مالك القوي من حديث أهل الحجاز، وزوّده بأقوال الصّحابة وفتاوى التّابعين ومن بعدهم، متتبّعا في تأليفه طريقة المؤلّفين آنذاك[2].

يمتاز الموطّأ بكونه أوّل مصنّف من المصنّفات الصحيحة المرتّبة على الأبواب[3]. حتّى قيل عنه: «**الموطّأ الأصل الأوّل واللّباب، وكتاب البخاري هو الأصل الثّاني في هذا الباب، وعليهما بنى الجميع كمسلم والتّرمذي**»[4].

فالموطّأ هو واحد من دواوين الإسلام العظمية، وكتبه الجليلة، يشتمل على العديد من الأحاديث كما أسلف الذِّكرُ، وهو ذخيرة من ذخائر كتب الحديث، ومن أقواها متنا وأعلاها سندا وأغزرها فقها، لذلك فهو استحقّ ثناء الدّارسين والعلماء على مرّ العصور.

---

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، مراجعة وإشراف: نخبة من العلماء، دار الأفاق الجديدة، المغرب، دط، د ت، ص8.

(2) ينظر: مالك بن انس، الموطّأ، كتاب وقوت الصّلاة، باب جامع الوقوت، الحديث الأوّل و الثّاني و الثّالث، ص 17-18.

(3) بدأ الإمام مالك كتابه بباب "وقوت الصّلاة" وقدّم هذا الباب على سائر الأبواب، لأن الوقت أصل في وجوب الصّلاة، إذ هي عبادة تقوم تأديتها على احترام أوقاتها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ النساء: الآية 103.

(4) محمد بن عبد الباقي بن يوسف، شرح الزرقاني على موطّأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، ط1، 1990، ج1، ص 06.

وأطلق جماعة على الموطّأ اسم "الصّحيح"، واعترضوا قول من قال: أوّل من صنّف فيه البخاري، وإن عبّر بقوله: «الصّحيح المجرّد للاحتراز عن الموطّأ، فلم يجرّد فيه الصّحيح، بل أدخل المرسل والمنقطع والبلاغات، وقيل لا فرق بين الموطّأ والبخاري في ذلك لوجوده أيضا في البخاري من التّعاليق ونحوها، لكن فرّق الحافظ بأن ما في الموطّأ كذلك هو مسموع لمالك غالبًا وما في البخاري قد حُذِف إسناده عملا لأغراض قرّرت في التّعليق، فظهر أنّ ما في البخاري من ذلك لا يخرجه عن كونه جرّد فيه الصّحيح بخلاف الموطّأ»[1].

سلك الإمام مالك في كتابه "الموطّأ" منهج التّحري والتّوخي والانتقاء الصّحيح؛ ومن أجل هذا استوعب الشّيخان "البخاري ومسلم" أكثر حديثه في كتابهما؛ هذا نتيجة الأربعين سنة التي مكثها مالك يقرأ كتابه فيزيد فيه وينقص ويهذّب، بل وعرضه على أكثر من سبعين فقيها قبل تقديمه للنّاس.

تعدّدت روايات الموطّأ واختلفت بسبب ماقام به الإمام مالك من تعديل وتنقيح، فبعض تلاميذ رواه عنه قبل التّعديل وبعضهم الآخر في أثنائه وآخرون في آخر عمره.

ومن أشهر رواة الموطّأ نذكر[2]

- رواية يحي بن يحي المصمودي اللّيثي.
- رواية ابن وهب أبو محمّد عبد الله بن سلمة الفهري المصري.
- رواية محمّد بن الحسن الشّيباني صاحب أبي حنيفة.
- رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي وهي من أكبر روايات الموطّأ.
- رواية أبي مصعب الزّهري وهي آخر رواية نقلت عن مالك ومن أشهر شُرّاح الموطّأ:[3]
  - أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن السّيد البطليوسي.
  - أبو مروان بن الملك بن حبيب القرطبي.
  - أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف التّجيبي.
  - جلال الدّين السّيوطي الشّافعي عبد الرحمن بن كمال الدّين أبي بكر بن محمّد.
  - محمّد بن عبد الباقي بن يوسف الزّرقاني.

(1) محمّد عبد الباقي بن يوسف، شرح الزّرقاني في موطّأ الإمام مالك، ج1، ص 63.

(2) ابو المطرف عبد الرحمن بن مروان القنازعي القرطبي الأندلسي، تفسير الموطّأ، تح: عامر حسن صبري، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، قطر، دط، دت، ص 6- 7.

(3) المرجع نفسه، ص 08.

- محمّد بن زكرياء بن محمّد بن يحي.
- أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان القنازعي القرطبي الأندلسي.

3. التّعريف بصاحب المدوّنة:

هيّأ الله سبحانه وتعالى لهذه الأمّة رجالا أكفّاء ينقلون السّنة جيلا بعد جيل، ليحفظوا للنّاس دينهم الذي ارتضاه لهم من عهد الصّحابة رضي الله عنهم إلى عهد تدوين الحديث الشّريف، ومن بين هؤلاء العلماء: الإمام مالك.

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر نافع بن عمرو بن الحارث ابن غيمان بن خثيل بن عمر بن الحارث الأصبحي، ولد عام ثلاثة وتسعين للهجرة (93هـ) بالمدينة المنوّرة، في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك[1].

بدأ الإمام مالك بطلب العلم صغيرا، وورث حديث رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– ونشر في أمّته الأحكام والفصول، وأخذ عن تسعمائة شيخ فأكثر، وما أفتى الإمام مالك حتّى هدى له سبعون بأنّه أهل لذلك، اتّصف بالزّهد والورع والصّلابة في الدّين والشّجاعة في الحق[2].

تتلمذ على يديّ الإمام مالك عدد من الأئمّة الثّقات من بينهم الإمام محمّد بن الحسن الشّيباني الحنفي ... واختلف على سنة وفاة الإمام مالك الكثير وفي هذا ثلاثة أقوال: [3].

- سنة ثمان وسبعين ومئة هجري (178هـ).
- سنة تسع وسبعين ومئة هجري (179هـ).
- سنة ثمانين ومئة هجري (180هـ).

وتوفّي في المدينة المنوّرة، ودفن بالبقيع.

(1) مشعل الحراري، الإمام مالك وأثره في علم الحديث النّبوي، غراس للنّشر والتّوزيع، الكويت،ط1، 2004، ص 29.

(2) المرجع نفسه، ص 29.

(3) ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1972، ج4، ص 137.

ثانيا: قراءة في التّداولية وحدودها:

1. المفهوم والنّشأة:

1.1. المفهوم:

مرّت دراسة اللّغة في مطلع النّصف الثّاني من القرن العشرين بتطورات ملحوظة في ظل المناهج المختلفة وتوجّهاتها، كما رصدت محاولات عديدة تنادي بالثّورة على المناهج المستخدمة في دراستها لاسيما تلك التي كان موضوعها النّظام اللّغوي –من سوسير إلى تشومسكي-.

فالبنويّة وعلى اختلاف وتعدّد نظرياتها ومدارسها لم تستطع أو بالأحرى لم تتمكّن من تحطيم جدار ثنائيّة اللّغة والكلام وكذا عدم تجاوز حدود الدّراسة التي أقرّها "سوسير" وهي دراسة اللّغة في ذاتها ولأجل ذاتها.

والمتمثّلة في دراسة اللّغة بمنأى عن العوامل والمؤثّرات الخارجيّة فقط ركزت على النّظام اللّغوي في ذاته وهذا ما أدّى إلى قصورهم وعجزهم في إبراز وكشف حقيقة اللّغة، ما جعل البعض يحيد عن هذه القيود وينادي بضرورة دراسة اللّغة وهي تؤدّي وظائفها التّواصليّة أمثال سابير وفيرث.

والجدير بالذّكر هو أنّ المدارس الأوروبيةّ والأمريكيّة ركّزتا دراستهم للّغة على التّركيب الدّاخلي لها مهملين في ذلك الجانب الفعلي والحقيقي هو الجانب الاستعمالي –الجانب الحي والمتجدّد للّغة-

إنّ مفهوم الاستعمال يعدّ العمود الفقري لجل النّظريات التّداوليّة التّي تعكس بصفة واضحة الصّورة التي يرتبط فيها الخطاب بالعالم، وهي الصّورة التّي عجز البنويّون عن إبرازها بسبب نظرتهم الضيّقة للّغة بحصرها في ثنائيّة (اللّغة، الكلام)، وبسبب تيههم في التّجريد المنهجي الذي أدّى إلى حصر الغاية القصوى للبحث اللّغوي في التّصنيف[1].

إذن لقد نشأت التّداوليّة "كرّد للتّوجهات البنويّة فيما أفرزته من تصورات صوريّة مبالغ فيها، خاصّة عند اللّساني الأمريكي "تشومسكي" وأتباعه وكذلك الغلو في الاعتماد عند وصف الظّواهر اللّغويّة على التّقابل الذي وضعه "دي سوسير" بين اللّغة والكلام، حيث أبعد الكلام، وهو الذي يمثّل الاستعمال الحقيقي للّغة ونظامها"[2].

(1) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، دار القصبة للنّشر، الجزائر، ط1، 2006، ص 177.
(2) المرجع نفسه، ص 178.

يعود مصطلح التّداوليّة بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلز موريس' الذي استخدمه سنة 1938 دالّا على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السّيميّة Semiotics –يُؤثرُ "موريس" استخدام Semiotic _هذه الفروع هي: (1)

- علم التّراكيب Symtactics: وهو يعنى بدراسة العلاقات الشّكليّة بين العلامات بعضها مع بعض.
- علم الدّلالة Semantics: وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها.
- التّداوليّة: وتهتمّ بدراسة علاقة العلامات بمفسّريها.

وعُرِّفت أيضا بأنّها "إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات، تشترك عند معالجتها للقضايا اللّغويّة في الاهتمام بثلاثة معطيات، لما لها من دور فعّال في توجيه التّبادل الكلامي، وهي: (2)

- المتكلّمون (المتكلّم/المخاطب).
- السّيّاق(الحال/المقام).
- الاستعمالات العاديّة للكلام أي: الاستعمال اليومي والعادي للّغة في الواقع.

كما قد تعرّف التّداوليّة من جهة نظر المرسل بأنها كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجّهه عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللّغويّة في ضوء عناصر السّيّاق، بما يكفل له ضمان التّوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه(3).

فالجهود الجبّارة لعالم مثل "بنفنست" Benveniste أفضت إلى نتيجة مفادها أن الخطاب البشري، رغم كونه الظّاهرة الأشدّ تعقيدا لدى الإنسان لارتباطها بالعقل، إلاّ أنّه يتأسّس مبدئيا في العناصر (أنا، الآن، هنا) وهي العناصر الثّلاثة التّي شكّلت هيكل النّظريات التّداوليّة كنظريّة الحديث ونظريّة قوانين الخطاب وأحكام المحادثة ونظريّة أفعال الكلام(4).

(1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة، دط، 2007، ص 178.

(2) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، مرجع سابق، ص 176.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 22.

(4) عليا آيت أوشان، السّياق والنّص الشّعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، دط، 2000، ص 59.

فالتّداوليّة أعادت الاعتبار للمتكلّمين الذين يتفاعلون من خلال ما يفرضه عليهم الموقف الذي أنتج فيه الخطاب، كما أعادت الاعتبار للسّياق وجعلته أحد أهم المعطيات الأساسيّة لفهم فحوى الخطاب ومقاصد المتكلّم.

إنّ عنصر الاستعمال يشكّل الحجر الأساس في معظم تعريفات التّداوليّة وهذا ما نجده في تعريف "آن ماري دييرAnne Marie Diller "وفرانسوا ريكاناتيFrancois Récanati": "التّداوليّة هي دراسة استعمال اللّغة في الخطاب، شهادة في ذلك على مقدرتها الخطابيّة، فهي إذن تعتم بالمعنى كدلالة، وبعض الأشكال اللّسانيّة التّي لا يتحدّد معناها إلاّ من خلال استعمالها"[1].

التّداوليّة علم جديد للتّواصل، يسمح بوصف وتحليل وبناء استراتيجيات التّخاطب اليومي والمتخصّص بين المتكلّمين في ظروف مختلفة[2].

مما سبق يمكن القول: إنّ التّداوليّة هي دراسة اللّغة قيد الاستعمال أو الاستخدام Language in use بمعنى دراسة اللّغة في سياقاتها الواقعيّة، لا في حدودها المعجميّة أو تراكيبها النّحويّة. هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها في ظروف ومواقف معنية لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، هي الانطلاق من اللّغوي لتحقيق أغراض غير لغويّة.

وبهذا تعدُّ التّداوليّة فرع لساني يعنى بدراسة التّواصل بين المتكلّم والمتلّقي، أو بمعنى آخر يعنى بدراسة الرّموز التّي يستخدمها المتكلّم في عملية التّواصل والعوامل المؤثّرة في اختيار رموز معيّنة دون أخرى، والعلاقة بين الكلام وسياق حاله وأثر العلاقة بين المتكلّم والمخاطب على الكلام وهي بهذا تعني بأقطاب العمليّة التواصليّة[3].

ومنه نستنتج أن التّداوليّة تدرس اللّغة بمراعاة جميع سياقات استعمالها .

2.1. النّشأة:

من المفيد أن نذكر بأن نشأة التّداوليّة توافقت تقريبا مع نشأة العلوم المعرفيّة ... بالتّحديد سنة 1955م عندما ألقى جون أوستين john austin محاضراته في جامعة هارفارد ضمن برنامج

(1) نعمان بوقرة، اللّسانيات: اتّجاهاتها وقضاياها الرّاهنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،2009، ص162.

(2) فان دايك، النّص والسّياق: استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشّرق، المغرب، دط، 2000، ص 227.

(3) رمزي البعلبكي، معجم المصطلحات اللغّويّة، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط1، دت، ص 30.

"محاضرات ويليام جايمس" ... حيث لم يكن يفكّر في تأسيس اختصاص فرعي للّسانيات، فلقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللّغة[1].

بدأت التّداوليّة على يد "سقراط" ثم تبعه "أرسطو" والرّواقيّون من بعده، بيد أنها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظريّة الفلسفة إلاّ على يد "باركلي" تفديها طائفة من العلوم على رأسها: الفلسفة واللّسانيات والأنثروبولوجيا وعلم النّفس وعلم الاجتماع[2].

ومنه نستنتج أن وقوع التّداوليّة بين تجاذبات الفلسفة واللّسانيات جعل منها علم غزير وضخم إلاّ أنها لم تحدد معالمها بعد ولم تبرزها إلى الوضوح، إضافة إلى أنّ التّداوليّة مسمّى جديد لمعنى قديم جاء لدراسة اللّغة بصيغة جديدة؛ هذه الصّيغة في الحقيقة هي الأصل الذي كان من المفروض دراسته في بداية مسارات الأبحاث اللّغويّة اللّسانيّة، وهي الحقيقة الأجدر بالكشف عنها لإيجاد حلول للقضايا التي لم تجد لها اللّسانيات الأولى حلاّ ناجعا أو لم توليها أهمّية.

ولم تصبح التّداوليّة مجالا يعتدّ به في الدّرس اللّغوي المعاصر إلاّ في العقد السّابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللّغة المنتمين إلى التّراث الفلسفي لجامعة أوكسفورد، هم: "أوستن، سيرل، غرايس"[3].

2. التّداوليّة خصائصها ومهامها:

1.2. خصائص التّداوليّة:

لقد حدد بعض الباحثين ما تميز به التداولية عن غيرها من اتجاهات البحث اللساني بما يأتي:[4]

- التداولية تقوم على دراسة الاستعمال اللّغوي أو هي لسانيات الاستعمال اللّغوي وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللّغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركّبة من السّلوك الذي يولّد المعنى.
- ليس للتّداوليّة وحدات تحليل خاصّة بها، ولا موضوعات مترابطة.
- التّداوليّة تدرس اللّغة من وجهة نظر وظيفيّة عامّة (معرفيّة، اجتماعيّة، وثقافيّة).

(1) آن روبل وجاك موشلار، التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، تر، سيف الدّين دغفوس، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان،ط1، 2003، ص26-29.

(2) نعمان بوقرة، اللّسانيات اتجّاهاتها وقضاياها الرّاهنة، مرجع سابق، ص163.

(3) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص09.

(4) المرجع نفسه، ص14.

– تعدّ التّداوليّة نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصّلة باللّغة بوصفها وصلة بينها وبين لسانيات الثروة اللّغويّة.

هذا ما يتميّز به حقل التّداوليّة وينفرد به عن غيره من الحقول المعرفيّة الأخرى إضافة إلى أنّ التّداوليّة: "لا تنتمي إلى أي من مستويات الدّرس اللّغوي صوتيّا كان أم صرفيّا أم نحويّا أم دلاليّا... وهي كذلك لا تنضوي تحت علم من العلوم التّي لها علاقة باللّغة بالرّغم من أنّها تتداخل معها في بعض جوانب الدّرس..."[1].

2.2. مهام التّداوليّة:

يقول "فان دايك": «والفكرة الأساسيّة في التّداوليّة هي أنّنا عندما نكون في حالة التّكلّم في بعض السّياقات فنحن نقوم أيضا بإنجاز بعض الأفعال المجتمعيّة وأغراضنا ومقاصدنا من هذه الأفعال»[2].

ويضيف موضّحا: « إنّ أحد مهام التّداوليّة أن تتيح صياغة شروط إنجاح إنجاز العبارة، وبيان أي جهة يمكن لها، أن تكون مثل هذا الإنجاز عنصرا في اتّجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجاز الذي يصبح بدوره مقبولا أو مرفوضا عند فاعل آخر»[3].

ومما سبق يتبيّن أن التّداوليّة تسعى لدراسة شروط نجاح العبارات وملائمتها لبنية الخطاب ونظامه والطّبقات المقاميّة المختلفة.

3– التّداوليّة والعلوم الأخرى:

1.3. التّداوليّة وعلم الدّلالة:

إن تداخل التّداوليّة بعلم الدّلالة مردّه أن كلّ منهما يتناول المعنى الذي هو زبدة التّواصل، ومهما حاولنا التّمييز بينهما فإن هذا التّداخل هو الذي أعاق الألسنيين على ضرورة الفصل وبيان حدود كلّ مجال على خلفيّة أن علم الدّلالة كما التّداوليّة وهو يحاول تبيين معنى كلمة، أو عبارة، أو جملة لا يكون بمعزل عن العلاقة بالمتكلّم ومقاصده وعن السّامع والموقف الذي يجري فيه الكلام[4].

(1) محمود أحمد نحلة، آفاف جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص 10.

(2) فان دايك، النّص والسّيّاق: استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي، تر: عبد القادر قنيني، مرجع سابق، ص 292.

(3) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص292.

(4) نواري السّعودي، في تداوليّة الخطاب الأدبي، عالم الكتب الحديث، ط2، 2011، ص 21.

2.3. التّداوليّة وعلم اللّغة الاجتماعي والنّفسي:

علم اللّغة الاجتماعي يشارك التّداوليّة في تبيين أثر العلاقات الاجتماعيّة بين المشاركين في الحديث، والموضوع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة كلّ من المتكلّم والسّامع وجنسه، وأثر السّياق غير اللّغوي في اختيار السّمات اللّغويّة وتنوعاتها، كما يشترك علم اللّغة النّفسي مع التّداوليّة في الاهتمام بقدرات المشاركين التّي لها أثر كبير في أدائهم مثل الانتباه، والذّاكرة، والشّخصيّة[1].

3.3. التّداوليّة وتحليل الخطاب:

يشترك مع التّداوليّة في الاهتمام أساسا بتحليل الحوار، ويقتسمان عددا من المفهومات الفلسفيّة واللّغويّة كالطّريقة التّي توزّع بها المعلومات في جمل أو نصوص، والعناصر الإشاريّة والمبادئ الحواريّة[2].

وممّا تقدّم ذكره يمكن القول أنّ التّداوليّة لها وشائج قربى مع العديد من العلوم المعرفيّة واللّسانيّة ممّا أهّلها هذا لتكون أوسع العلوم وأوسع المجالات التّي تعنى بكيفيّة انتاج وفهم الفعل الكلامي في مختلف المقامات التّخاطبيّة.

(1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 10.

(2) المرجع نفسه، ص 11.

الفصل النّظري: في التّداوليّة

أوّلا: الأفعال الكلاميّة

ثانيا: الإشاريّات

ثالثا: الآليّات الحجاجيّة

رابعا: الاستلزام الحواري

خامسا: الافتراض المسبق

أوّلا: الأفعال الكلاميّة:

1.1. مفهوم نظريّة الأفعال الكلاميّة:

الفعل الكلامي هو: " ... كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلا عن ذلك يعدّ نشاطا مادّيا نحويّا يتوسّل أفعالا قوليّة لتحقيق أغراض إنجازيّة كالطّلب والأمر والوعد والوعيد ...، وغايات تأثيريّة تخصّ ردود فعل المتلّقي كالرّفض والقبول. ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيرياّ؛ أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيّا أو مؤسّساتيا، ومن ثمّ إنجاز شيء ما"[1].

نفهم من هذا بأنّ الفعل الكلامي ليس مجرد التّلفّظ بفعل معين بل يتعدّاه إلى إنجاز فعل حقيقي؛ أي انجاز حدث في الواقع ؛بمعنى أن تتكلّم يعني ذلك أن تقوم بفعل شيء معين أي احداث أثر. وعليه فإنّ نظريّة الأفعال الكلاميّة هي نظريّة لغويّة ذات خلفيّة ومنطلقات فلسفيّة بدأت ملامحها على يد "فنجنشتاين" ووضع أسسها "جون أوستين" وقام بتطوير مبادئها ومباحثها "جون سيرل"، وتعدّ هذه النّظريّة من أهم النّظريات التّداوليّة بل من أساسياتها، فهي تعدّ إحدى الدّعائم الجوهريّة التّي تقوم عليها التّداوليّة وينطلق منها التّحليل التّداولي.

فالنّاس في أثناء كلامهم لا ينشؤون ألفاظا تحوي بنى نحويّة فقط وإنّما ينجزون أفعالا عبر هذه الألفاظ[2].

2.1.بنية الفعل الكلامي وخصائصه:

1.2.1.بنية الفعل الكلامي:

توصّل "أوستين" في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعيّة، تمثّل البنية الكاملة للفعل الكلامي وهي على النّحو الآتي:

1.1.2.1. فعل القول:

يراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، ففعل القول يشتمل بالضّرورة على أفعال لغويّة فرعيّة، وهي المستويات اللّسانيّة المعهودة ... ولكن "أوستين" يسمّيها

(1) مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص40.

(2) جورج يول، التّداوليّة، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط1، 2010، ص 137.

أفعالا: الفعل الصّوتي وهو التّلفّظ بسلسلة من الأصوات المتميّة إلى لغة معيّنة، الفعل التّركيبي فيؤلّف مفردات طبقا لقواعد لغة معيّنة، وأمّا الفعل الدّلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معان واحالات محدّدة... [1].

كما يتكوّن الفعل اللّفظي أو فعل القول من أصوات لغويّة تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدّد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه[2].

بمعنى أن فعل القول هو ذلك الفعل الذي يتكوّن من أصوات منتظمة ومتآلفة سليمة في تركيبها، عندما توضع في تركيب جملي عام تفظي إلى دلالة واضحة يحسن السّكوت عليها.

2.1.2.1. الفعل المتضّمن في القول:

وهو الفعل الانجازي الحقيقي إذ أنّه عمل ينجز بقول ما[3]. وهو ما يؤدّيه الفعل اللّفظي من معنى إيضافي يكمن خلف المعنى الأصلي[4]. وبهذا نفهم بأنّ الفعل الانجازي هو الذي يمثّل المعنى الذي أدّاه فعل القول؛ أي المعنى الأصلي المتضّمن في فعل القول، فعندما نقوم بالتّلفظ بفعل القول فإنّنا ننجز بذلك فعلا حقيقيّا هو الفعل الانجازي.

3.1.2.1. الفعل النّاتج عن القول:

هو مجموع الأثار المترتّبة عن الفعل المتضّمن في القول، ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الانجازي في المتلقّي[5].

بمعنى أن الفعل النّاتج في القول هو فعل تأثيري بالدّرجة الأولى لأنّه يستهدف المتلقّي وذلك من خلال ترك واحداث أثر في نفسه أو تفكيره.

ومما سبق نستنتج أنّه –حسب أوستين– حتّى نتمكّن من إنتاج فعل كلامي على الوجه الصّحيح لابد من إنتاج ثلاثة أفعال متزامنة مشكّلة لنا الصّورة النّهائيّة للفعل الكلامي، إن اختلّ واحد منها أصبح الفعل الكلامي ناقصا غير تام وغير مؤدّ لوظيفته المنوطة به، والمخطط التالي يوضح ذلك:

(1) مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 41.

(2) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 45.

(3) مرجع سابق، ص 42.

(4) مرجع سابق، ص 45.

(5) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 46.

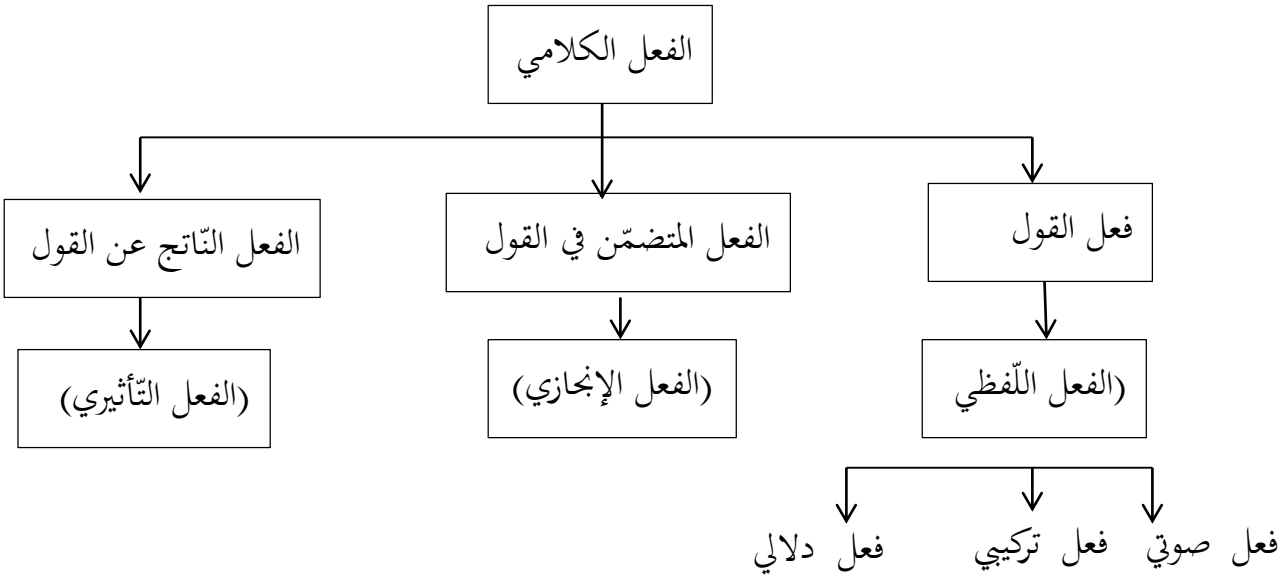

الشّكل رقم 01: يمثّل بنية الفعل الكلامي التّي توصّل إليها أوستين

وهذا يعني أنه عندما تتآلف وظائف هذه الأفعال الثّلاثة ينتج لنا الفعل الكلامي في صورته المتكاملة والنّهائيّة.

2.2.1.خصائص الفعل الكلامي:

يلاحظ أوستين أنه توجد ثلاثة خصائص للفعل الكلامي الكامل وهي: [1]

- إنه فعل دال.
- إنّه فعل إنجازي، أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعيّة بالكلمات.
- إنه فعل تأثيري، أي يترك آثارا معيّنة في الواقع خصوصا إذا كان فعلا ناجحا.

3.1.تصنيف الأفعال الكلاميّة:

1.3.1.تصنيف أوستين:

نسعى في هذا الجزء إلى تقديم نظريّة الأفعال الكلاميّة كما تطرّق إليها "أوستين"، وكيف صنّف هذه الأفعال وإلى أي مبادئ استند. "أوستين" هو رائد الدّرس التّداولي لاسيما قضيّة الأفعال الكلاميّة التّي تأثّر فيها بما رآه "فيجنشتاين" بأنّ وظيفة اللّغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها، ولكن للّغة وظائف عديدة كالأمر والاستفهام والتّمني والشّكر ... حيث كان لهذا الرّأي أثر بالغ في

(1) مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 44.

"أوستين" فراح يتصدّى بالرّد على فلاسفة الوضعيّة المنطقيّة في محاضراته التّي ألقاها في أكسفورد ما بين سنتي 1952م و1954م ومحاضرات أخرى في هارفارد سنة 1955م ورأى حينها أنّ الفلسفة حادت عن الصّواب بحكمها على العبارات الإخباريّة التّي تصف العالم الخارجي بالصّدق إن طابقته وبالكذب إن لم تطابقه، ومن خلال هذه المعارضة للفلاسفة رأى "أوستين" نوع آخر من العبارات يشبه العبارات الوظيفيّة في تركيبها لكنّه لا يصف وقائع العالم الخارجي ولا يوصف بصدق أو بكذب بل إن نطق أحدهم بواحدة من هذه العبارات لا ينشئ قولا فقط بل يؤدّي فعلا وهذا ما سمّاه بالأفعال الكلاميّة[1].

هذه كانت الانطلاقة الفعليّة والحقيقيّة لأوستين والتّي من خلالها أرسى قواعد الفعل الكلامي ووضّح ماهيته وكيفيّة أدائه لوظيفته.

أمّا ما يمكن أن نذكره فيما يخصّ العمل الذي قدّمه "أوستين" لنظريّة الأفعال الكلاميّة –الذي يعتبر نقلة نوعيّة فريدة من نوعها في عصرها- يتلخّص في:

1.1.3.1. تمييز "أوستين" لنوعين من الأفعال:

- **أفعال إخباريّة:**

وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة.

- **أفعال أدائيّة:**

وهي أفعال تنجز بها في ظروف ملائمة أفعال أو تؤدّى، ولا توصف بصدق ولا كذب، بل تكون موفّقة كما أطلق عليها أو غير موفّقة، ويدخل فيها التّسمية والوصفيّة والاعتذار والرّهان والنّصح والوعد[2].

2.1.3.1. تركيب الفعل الكلامي:

تطرّق "أوستين" لبنية الفعل الكلامي حين إجابته عن السّؤال: "كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا؟" ووجد بأنّ الفعل الكلامي يتكوّن من ثلاثة أفعال، تعدّ جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد ولا يمكن الفصل بينها في أدائها لوظيفتها وقد سبق التّطرّق لهذه الأفعال الثّلاثة في عنوان سابق يحمل اسم بنية الفعل الكلامي.

(1) ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 43.

(2) المرجع نفسه، ص 44.

3.1.3.1. تصنيف "أوستين" للأفعال الكلاميّة:

صنّف "أوستين" الأفعال الكلاميّة على أساس من قوتّها الانجازية واتّبع في تقسيمه منهجا خاصّا وهذا التّصنيف قد أقرّ بأنّه غير راض عنه وتوصّل إلى التّقسيم الآتي: [1]

- **الحكميّات**: وهي بجوهرها إطلاق أحكام على واقع، أو قيمة ممّا يصعب القطع به. ومن أمثلتها: برّأ، قيّم، حكم، حسب، وصف، حلّل، صنّف، فسّر ...
- **الإنفاذيّات**: وهي تقوم على استعمال الحق أو القوة وما إليهما. ومن أمثلتها: عيّن، سمّى، استقال، أعلن، صوّت، أمر، نهى ...
- **الوعديّات**: وهي قد تكون الزامات للمتكلّم بأداء فعل ما كما قد تكون افصاحات عن نواياه. ومن أمثلتها: وعد، نذر، أقسم، راهن، عقد ...
- **السّلوكيّات**: وهي ترتبط بالافصاحات عن حالات نفسيّة تجاه ما يحدث للآخرين أو بالسّلوك الاجتماعي. ومن أمثلتها: اعتذر، شكر، هنّأ، انتقد، مدح، هجا، وبّخ، اعترض..
- **التّبيينيّات**: وهي توضح علاقة أقوالنا بالمحادثة أو المحاجّة الرّاهنة. ومن أمثلتها: أثبت، أنكر، مثّل، شرح، وصف ...

ويتوضّح لنا من خلال هذا التّصنيف أن الحكميّات تفيد حكم يصدر من هيئة مختصّة أو موكّلة في حين أن الإنفاذيّات تفيد اتّخاذ قرار معيّن بشأن أمر أو قضيّة واضحة، والوعديّات يتعهّد فيها المتكلّم بفعل شيء ما، وأنّ السّلوكيّات تكون كرد فعل على فعلة معينة قام بها شخص ما، ويبقى الصّنف الأخير واضح من اسمه أنه يعنى ببيان رأي ما أو شرح فكرة معيّنة. وهذا كان ما قدّمه "أوستين" للدّرس التّداولي فيما يخصّ الأفعال الكلاميّة وجعل من هذه التّصنيفات، تصنيفات مبدأيّة فقط وقد اعترف بذلك.

2.3.1.تصنيف "سيرل":

ما قدّمه "أوستين" لم يكن كافيا لوضع نظريّة كاملة متكاملة للأفعال الكلاميّة، لكنهّ اعتبر بمثابة قاعدة الانطلاق ونقطة البداية حتّى مجيء "سيرل" ووضع الأسس المنهجيّة التّي تقوم عليها هذه

(1) طالب هاشم طبطبائي، الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، دط، 1994، ص 10.

النّظريةّ لا سيما فيما يخصّ حديثه عن الفعل الإنجازي والقوّة الانجازيّة، هذا الذي جعل الباحثين يتحدّثون عن نظريته ومزيّته التّي قدّمها لمسار البحث التّداولي بأكمله[1].

أيضا ما يمكن الإشارة إليه هو أن مساهمة سيرل هذه هي محاولة لوضع حدود واضحة لأطراف نظرية الفعل الكلامي لترفعها إلى مستوى قريب من اللغات الاصطناعية التي يدرسها المناطقة الرمزوية، إضافة إلى ما أخذ عليه بأنه أفقد النظرية شيئا من سحرها وتنوعها، ولكن تبقى نظريته هذه أكثر انصافا لأنه ساهم في مناقشة مشكلات وقضايا جد مهمة في مجال فلسفة اللغة، وقدم حلولا مرضية لها على أساس ما قدمة في هذه النظرية –الأفعال الكلامية–[2].

1.2.3.1. تصنيف "سيرل" للأفعال الكلاميّة:

قدّم "سيرل" تصنيفا بديلا لما قدّمه "أوستين" للأفعال الكلاميّة يقوم على ثلاثة أسس منهجيّة عدّها هي الأساس في تشكيل هذه الأفعال وهي: الغرض الانجازي، اتّجاه المطابقة، شرط الإخلاص، وانطلاقا من هذا كان تصنيفه كالآتي: [3]

- **التّقريريّات:** الغرض منها هو الغرض التّقريري ... إذ أنّ أيّة قضيّة يمكن أن تشكّل محتوى في التّقريرات، والشّرط المعدّ لجميع التّقريريّات هو حيازة المتكلّم على شواهد أو أسس أو مبرّرات ترجّح أو تؤيّد صدق المحتوى القضوي...
- **الوعديّات:** الغرض منها هو الغرض الوعدي ... والمسؤول فيها عن أحداث المطابقة هو المتكلّم، أما الشّرط العام للمحتوى القضوي في الوعديّات فهو:

أن تمثّل القضيّة فعلا مستقبلا للمتكلّم والشّرط المعدّ هو قدرة المتكلّم على أداء ما يلزم به نفسه.

- **الأمريّات:** الغرض منها هو الغرض الأمري "الطّلبي" والشّرط المعدّ لها هو قدرة المخاطب على أداء المطلوب منه، والأمريّات تخلق أسباب للمخاطب كي يؤدّي المطلوب منه.
- **الإيقاعيّات:** الغرض منها إحداث تغيير في العالم بحيث يطابق العالم المحتوى القضوي بمجرّد الإنشاء النّاجح للفعل الكلامي...

(1) ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في الدّرس اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 47.

(2) ينظر: طالب هاشم طبطبائي، الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مرجع سابق، ص 13.

(3) المرجع نفسه، ص 32.

- **البوحيّات:** الغرض من البوحيّات هو التّعبير عن موقف حيال الواقعة التي تعبّر عنها القضيّة؛ إذ أنّ المتكلّم إنمّا يعبّر فيها عن حالته النّفسية اتّجاه الواقعة المفروض تحقيقها.

وعليه فإنّ مفاد هذه الأفعال أو بالأحرى التّقسيمات التي حدّدها "سيرل" هو أن التّقريريّات أو الاخباريّات يقوم فيها المتكلّم بوصف واقعة معيّنة من خلال قضية وأفعال هذا الصّنف كلّها تحتمل الصّدق والكذب، أمّا عن الوعديّات فيلتزم فيها المتكلّم بفعل شيء في المستقبل ويدخل فيها الوعد والوصيّة كما أسلف الذّكر... كما تتضمّن الأمريّات محاولة المتكلّم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معيّن ويدخل في الأمر والنّصح والاستعطاف والتّشجيع، أمّا عند الحديث عن الإيقاعيّات فينبغي القول أنّها تتميّز بأدائها النّاجح الذي يمثّل مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، إضافة إلى أنّها تحدث تغيير في الوضع القائم فضلا عن أنّها تقتضي عرفا غير لغوي،و البوحيّات على حسب ما جاء به "سيرل" فانّها تفيد التّعبير عن الموقف النّفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص ويدخل فيها الشّكر والتّهنئة والاعتذار والمساواة ... [1].

ويمكن تلخيص تصنيف "سيرل" في فكرة مفادها هو أنّ للّغة استعمالات كثيرة ويمكن أن نفعل باللّغة أشياء لا حصر لها؛ إذ نخبر النّاس عن كيف وجدت الأشياء، وتؤثّر فيهم للقيام بفعل معيّن كما نلزم ذواتنا بالقيّام بأفعال ما ونعبّر عن مشاعرنا ومواقفنا ونحدث تغييرات بواسطة منطوقاتنا وفي أحوال كثيرة نفعل أكثر من استعمال واحد من هذه الاستعمالات لمنطوق واحد وفي آن واحد[2]

وما يمكن استنتاجه كنتيجة لنظريّة الأفعال الكلاميّة هو أنّ الفضل في تأسيسها يرجع إلى "أوستين" بالرّغم من أنّه لم يتوصّل إلى هدفه –وقد اعترف بذلك– وهو وضع نظريّة متكاملة للأفعال الكلاميّة، ولكن يبقى فضل البداية والانطلاقة الحقّة والفعليّة راجع إليه.

ثانيا: الإشاريّات:

يتجسّد الخطاب باللّغة في مستوياتها كافّة، والكلمات جزء من نظام اللّغة، فتحيل كل كلمة على مدلول معين، إلا أنّ بعض منها يوجد في المعجم الذّهني دون ارتباطه بمدلول ثابت، فلا يتّضح مدلوله إلّا من خلال التّلفّظ بالخطاب في سيّاق معيّن[3].

(1) ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 50.

(2) ينظر: صالح إسماعيل عبد الحق، التّحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص237.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، ص 79.

وهذه الكلمات يعبّر عنها بالإشاريّات وتسمّى أيضا المعينات، وهي عبارات تربط بين اللّفظ والتّلفّظ ولا يكون لها معنى إلّا بالنّظر إلى ظروف التّلفّظ، وقد اهتمّ بها علماء التّداوليّة الذين اعتبروا: "أنّ النّص يتألّف من عدد ما من العناصر التّي تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الدّاخلية التّي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتّماسك بين تلك العناصر، وتسهم الرّوابط التّركيبيّة والرّوابط الزّمنيّة والرّوابط الإحاليّة في تحقيقها"[1].

مما يعني أن الإشاريّات تعتمد اعتمادا كلّيّا على السّياق الذي تستخدم فيه فهي تأخذ دلالة جديدة في كل وضعيّة جديدة لأنّها غير محدّدة الدّلالة أصلا، وهذا ما يوضّح أنّ الإشاريّات مثل أسماء الإشارة والضّمائر من العلامات اللّغويّة التّي لا يتحدّد مرجعها إلاّ في سيّاق الخطاب التّداولي، لأنّها خالية من أي معنى في ذاتها[2].

ولقد جاء الاهتمام بظاهرة الإشاريّات متأخّرا ولم يبرز إلّا مع بزوغ فجر الفلسفة المعاصرة للّغة، وقد لوحظت الأهميّة البالغة التّي تحتلّها التّلفّظات الإشاريّة في سيّاق التّواصل فأكثر من تسعين بالمئة من التّلفّظات التّي ننطق بها في حياتنا اليوميّة هي تلفّظات اشاريّة يحدّدها السّيّاق التّلفّظي الذي وردت فيه[3].

إضافة إلى أنّه لا يمكن أن تتمّ عملية التّلفّظ بالخطاب دون حضور هذه الأدوات الإشاريّة أو الإشاريّات بصفة عامّة، وتنقسم هذه الإشاريّات بدورها إلى أقسام وأنواع بعضهم جعلها خمسة أنواع وبعضهم جعلها ثلاثة وبعضهم الآخر اقتصر على ثلاثة أنواع فقط، وفي بحثنا هذا سنقتصر على أربعة أنواع فقط ليتّم التّطبيق عليها في الفصل التّطبيقي فيما بعد.

2-1- أنواع الإشاريّات:

2-1-1- إشاريّات شخصيّة:

وهي بشكل عام الإشاريّات الدّالة على المتكلّم أو المخاطب أو الغائب، فالذّات المتلفّظة، تدل على المرسل في السّيّاق، فقد تصدر خطابات متعدّدة عن شخص واحد، فذاته المتلفّظة تتغيّر بتغيّر

(1) علجيّة آيت بوجمعة، التّداوليّة دراسة في المجالات والفروع، مجلّة جامعة مولود معمري، تيز وزّو، العدد7، 2010م، ص166.

(2) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، مرجع سابق، ص 80.

(3) حورية رزقي، آليات المنهج التّداولي في تحليل النّص الأدبي، ندوة المخبر، المناهج النّقديّة، جامعة محمّد خيضر بسكرة، ص 08.

السّيّاق الذي تلفّظ فيه، وهذه الذّات هي محور التلفّظ في الخطاب تداوليّا؛ لأنّ الأنا قد تحيل على المتلفّظ الإنسان، أو المعلّم، او الأب ... [1].

وأكثرها وضوحا هي ضمائر المتكلّم (أنا، نحن)، ضمائر المخاطب المفرد والمثنّى والجمع تأنيثا وتذكيرا، أمّا ضمير الغائب فيدخل في الإشاريّات إذا كان حرّا؛ أي لا يعرف مرجعه من السّيّاق اللّغوي، أمّا إذا كان العكس فلن يعتبر من الإشاريّات[2].

وممارسة التلفّظ هي التّي تدلّ على المرسل في بنية الخطاب العميقة، ممّا يجعل حضور (الأنا) يرد في كل خطاب، ولهذا فالمرسل لا يضمّنها خطابه شكلا في كل لحظة لأنه يعوّل على وجودها بالقوّة في كفاءة المرسل إليه ... [3].

فنفهم ممّا سبق أن الإشاريّات الشّخصيّة هي التّي تدلّ على المتكلّم في الخطاب معتمدة في ذلك على السّيّاق بشكل كبير، حيث تتغيّر دلالة كل أداة إشاريّة من موضع إلى آخر حسب ما يقتضيه سيّاق الحال أو المقام.

2-1-2- إشاريّات مكانيّة:

لا ينفك المرسل عن المكان تلفظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الغشاريات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب فنجد أنها تختص بتحديد الموقع بالانتساب غلى نقاط مرجعية في الحديث الكلامي ... كما أن تحديد المربع المكاني مرتكز على تداولية الخطاب وهو ما يؤكد أهمية استعماله لمعرفة مواقع الاشياء[4].

إضافة إلى أنّ الإشاريّات المكانيّة هي عبارات تشير إلى مكان المتكلّم وقت التّكلّم، فمكان المتكلّم هو مركز الإشارة المكانيّة، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السّامع، ولاختيار المكان أثر في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة، وأكثر الإشاريّات المكانيّة وضوحا هي كلمات الإشارة نحو: هذا وذاك وهنا، هناك، وسائر ظروف المكان مثل: فوق وتحت، أمام وخلف ... كلّها عناصر يشار بها إلى مكان لا يتحدّد إلا بمعرفة موقع المتكلّم واتّجاهه[5].

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، مرجع سابق، ص 82.

(2) ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 18.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، مرجع سابق، ص 82.

(4) المرجع نفسه، ص 84.

(5) ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 22.

وعليه فإنّ الإشاريّات المكانيّة تستخدم لتدلّ على مكان المتكلّم وقت التّلفّظ أو وقت انتاجه للخطاب.

2-1-3- إشاريّات زمانيّة:

لحظة التّلفّظ هي المرجع، لهذا يجب أن نربط الزّمن بالفعل ربطا قويّا في مرحلة أولى، ونربط كذلك بين الزّمن والفاعل لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية، ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشاريّة الزّمانيّة، وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا، يلزم المرسل اليه أن يدرك لحظة التلّفّظ فيتّخذها مرجعا يحيل عليه[1].

فالإشاريّات الزّمانيّة كلمات تدّل على زمان يحدّده السّيّاق بالقيّاس إلى زمان المتكلّم، فزمان المتكلّم هو مركز الإشارة الزّمانيّة في الكلام، فإذا لم يعرف زمان المتكلّم أو مركز الاشارة الزّمانيّة التبس الأمر على السّامع أو القارئ[2].

ومن بين الإشاريّات الزّمانيّة نجد: اليوم، غدا، الآن، ...إلخ.

2-1-4- إشاريّات اجتماعيّة:

هي ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعيّة بين المتكلّمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة وموّدة، والعلاقة الرّسميّة يدخل فيها صيغ التّبجيل في مخاطبة من هم أكبر سنّا ومقاما من المتكلّم كاستخدام الضّمير (أنتم) في اللّغة العربيّة للمفرد المخاطب ونحن للمفرد المعظّم لنفسه كما تشمل أيضا الألقاب مثل: فخامة الرّئيس، جلالة الملك ... إضافة الى: حضرتك، سيادتك، سعادتك ... [3].

واستنتاجا لما تقدّم ذكره هو أنّ الإشاريّات هي الأخرى –على مختلف أنواعها وأقسامها- تمثّل مبحثا هامّا ومهمّا من مباحث البحث التّداولي تساهم بشكل كبير في إنجاح الخطاب وفهم مقاصد المتكلّمين ومعرفة أحوالهم.

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، مرجع سابق، ص 84.

(2) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 19.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

ثالثا: الآليات الحجاجيّة:

ممّا هو جار في عرف الباحثين هو أنّ الحجاج مندرج في المباحث التّداوليّة ويعدّ بابا رئيسيّا فيها، وهذا بإشارة البعض إلى أنّه "يوجد تيّار ناتج' عن التقاء تيّارين نابعين من أصلين مختلفين ومتداخلين في الآن نفسه؛ تيّار ينبع من أطروحات فلسفيّة ومنطقيّة مختلفة، وتيّار ينبع من اهتمام اللّسانيّين بالتّخاطب وذاتيّة المتكلّم وخصائص الخطاب[1].

فالبلاغة الجديدة هي نظريّة الحجاج التّي تهدف إلى دراسة التّقنيات الخطابيّة، وتسعى إلى إثارة النّفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج ... [2].

فهذه النّظريّة تطمح أن تبيّن أنّ اللّغة تحمل بصفة ذاتيّة وجوهريّة وظيفة حجاجيّة، ولأخذ فكرة واضحة عن الحجاج ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة أو الاستدلال المنطقي.

يمكن أيضا أن نشير إلى فكرة قيّمة في نظريّة الحجاج ألا وهي انبثاق هذه الأخيرة من داخل نظريّة الأفعال الكلاميّة –اللّغويّة– التّي وضع "أوستين" أسسها وقام "سيرل" بتطويرها، ثمّ قام "ديكرو" بتطوير أفكار وآراء "أوستين" بالخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج، وعليه يمكن القول بأنّ الحجاج هو تقديم الحجج والبراهين والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة وهو يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب؛ أي يتمثّل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها يمثّل الحجج اللّغويّة وبعضها الآخر يمثّل النّتائج التّي تستنتج من تلك الحجج[3].

لما كانت للّغة وظيفة حجاجيّة فإنّه من الطّبيعي ومن المنطقي أن تشتمل اللّغة على مؤشرات لغويّة خاصّة بالحجاج ولا سيما اللّغة العربيّة التّي تزخر بعدد لا حصر له من هذه المؤشّرات من مثل الرّوابط والعوامل الحجاجيّة، الأفعال اللّغويّة، آليات الحجاج، البلاغة وكذا الآليات شبه المنطقيّة والتّي سنعرضها فيما يأتي.

(1) ينظر: صابر الحباشة، التّداوليّة والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدّراسات والنّشر، سوريا، دمشق، ط1، 2008، ص15.

(2) المرجع نفسه، ص 16.

(3) ينظر: حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الاردن، ط1، 2010، ج1، ص 56-57.

كلّ هذه المؤشّرات من شأنها أن تجعل للّغة وظيفة حجاجيّة بامتياز وتمكّن المخاطب بالدّرجة الأولى من تحقيق المراد من كلامه والتّأثير في المتلقّي ومنه تحقيق الإقناع والوصول إلى النّتيجة الضّمنيّة المقصودة.

3-1- الرّوابط والعوامل الحجاجيّة:

هذه المؤشّرات بدورها تنقسم إلى قسمين يجدر بنا التّمييز بينهما وهما:

3-1-1- الرّوابط الحجاجيّة:

الرّوابط الحجاجيّة هي الرّوابط التّي تربط بين قولين، أو بين حجّتين على الأصّح أو أكثر وتسند لكل قول دورا محدّدا داخل الاستراتيجيّة الحجاجيّة العامّة وهذه الرّوابط كثيرة ومتعدّدة منها:[1]

3-1-1-1- الرّابط الحجاجي "الواو":

من المعروف أنّ هذه الأداة "الواو" وظيفتها الرّبط بين جملتين أو فكرتين فإنّ وظيفتها أيضا في نظريّة الحجاج هي ربط ووصل الحجج بعضها ببعض مع الحرص على ترتيبها حجاجيّا بحيث أنّ كلّ حجّة تزيد من قوّة الحجّة التّي تليها وتدعمها، إضافة إلى أنّ باقي الرّوابط مثل "ثمّ"، "الفاء" وغيرها تعمل نفس عمل "الواو" وهو الرّبط بين الحجج وإدراجها في تنظيم متسلسل بإحكام يؤدّي إلى نتيجة مقصودة.

3-1-1-2- الرّابط الحجاجي "حتّى":

لقد قدّم كلّ من "ديكرو" و"أنسكومبر" وصفا للأداة الحجاجيّة "حتّى" بقولهما: "الحجج المربوطة بواسطة هذا الرّبط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجيّة واحدة؛ أي أنّها تخدم نتيجة واحدة، ثمّ أنّ الحجّة التّي تأتي بعد "حتّى" وهي الأقوى ... لذلك فإنّ القول المشتمل على الأداة "حتّى" لا يقبل الإبطال والتّعارض الحجاجي"[2].

بمعنى أنّ هذا الرّابط يقوم بالرّبط بين حجج متتاليّة والتّي بدورها تخدم نتيجة واحدة، أي أنّ هذه الحجج تتوالى لتحقيق نتيجة مقصودة واحدة.

كما يربط أيضا بين حجّة واحدة، ونتيجة وكذا وقوعه بعد الحجّة يزيد من قوّته لتأكيد النّتيجة الضّمنيّة.

---

(1) حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته، مرجع سابق، ص 63.

(2) أبو بكّر العزّاوي، اللّغة والحجاج، العمدة في الطّبع، ط1، 2006، ص73.

3-1-1-3- الرّابط الحجاجي "لكن":

تعدّ "لكن" من أهم روابط التّعاوض الحجاجي ولقد لقيت اهتماما كبيرا خاصّة لدى الباحثين الغربيّين من مثل "ديكرو وانسكومبر" اللّذين أوردا في دراساتهم العديدة للأداة "لكن" بين الاستعمال الحجاجي الاستعمال الإبطالي؛ بمعنى أنّه هذه الأداة تستعمل لأداء وظيفتين، للحجاج والإبطال حسب ما يقتضيه السّياّق، والتّطبيق على هذه الأداة في الفصل التّطبيقي سنتبيّن بدقّة كيفية أداتها لوظائفها[1].

هناك روابط عديدة تساهم في إنجاح العمليّة الحجاجيّة منها: بل، لاسيما، إذن، لأنّ، إذ... كلّها تعمل على ربط الحجج بعضها ببعض للوصول إلى نتيجة ضمنية وسنتبيّن جميعها إن وجدت في مدوّنة التّطبيق في الفصل الثّاني –التّطبيقي –

3-1-2- العوامل الحجاجيّة:

العوامل الحجاجيّة لا تربط بين متغيّرات حجاجيّة؛ أي بين حجّة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنّها تقوم بحصر الإمكانات الحجاجيّة التّي تكون لعقل ما، وتضمّ أدوات من قبيل: ربمّا، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، لا ...إلّا وجل أدوات القصر[2].

وسنعرّج على ذكر وشرح وظيفة ودور كل من العوامل الحجاجيّة المتواترة في مدوّنة البحث، – موطّأ الإمام مالك– في الفصل التّطبيقي لأنّه هو الأنسب والأليق لمثل هذه الشّروحات والتّفصيلات.

3-2- الأفعال اللّغويّة:

يرى "فان ايمرين" و"غروتندورست" أنّ الأفعال اللّغويّة تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج؛ إذ يضطلع كل منها بدور محدّد في الحجاج بين طرفي الخطاب وترتيب الأفعال حسب مقدار الاستعمال، فنجد الأفعال الالتزاميّة التّي تستعمل عند قبول وجهة نظر معيّنة، أو عند الرّغبة في الخوض في الحجاج أو عدمه وفي تدعيم موقف المخاطب وكذا دفاع المخاطب نفسه عن موقفه ... كما نجد الأفعال التّوجيهيّة فنجد المخاطب لا يستخدم جميعها وهذا لطبيعتها وطبيعة النّقاش وما يقتضيه النّقاش وأحوال المخاطَب وسيّاق الحال، فقد يستعمل المخاطِب مرّة الأمر ومرّة النّهي ومرّة أخرى الاستفهام بحسب ما يقتضيه الخطاب إذ يعدّ الاستفهام أنجع أنواع الأفعال اللّغويّة حجاجا،

(1) ينظر: حافظ إ سماعيل علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته، مرجع سابق، ص57.

(2) المرجع نفسه، ص63.

لأنّ الأسئلة أشدّ إقناعا للمخاطَب وأقوى حجّة عليه، وذلك عندما يكون قصد المخاطِب غير مباشر فيشكّل الاستفهام في هذه الحالة حجّة في ذاته[1].

وعليه فإنّنا سنعرض الأفعال اللّغويّة الموجودة في الحديث النبّوي الشّريف –موطّأ الإمام مالك– في فصلها التّطبيقي ونبيّن مدى حجاجيتها وكيف أدّت وظائفها الحجاجيّة الإبلاغيّة.

3-3- آليات الحجاج البلاغيّة:

يجدر الإشارة إلى أنّ الأساليب البلاغيّة بالإضافة إلى وظيفتها الجماليّة الإبداعيّة فإنّها تؤدّي أيضا وظيفة إقناعيّة استدلاليّة وذلك من خلال توفّرها عل خاصّية التّحول لأداء أغراض تواصليّة وإنجاز مقاصد حجاجيّة ولإفادة أبعاد تداوليّة[2].

ومن بين آليات الحجاج البلاغيّة والتّي هي في الأصل من صلب ولدن البلاغة ما يأتي:

3-3-1- التّفريع:

أو تقسيم الكل إلى أجزائه وهوّ أن يذكر المرسل حجّته في أوّل الأمر، ثمّ يعود إلى تفنيدها وتعدّد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء ، وذلك ليحافظ على قوتّها الحجاجيّة[3].

3-3-2- الاستعارة:

تعدّ الاستعارة من الوسائل اللّغوية التّي يستغلّها المتكلّم للوصول إلى أهدافه الحجاجيّة ذلك لأنّها أبلغ من الحقيقة حجاجيّا، وهذا حسب ما عرّفها الجرجاني: «اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون للّفظ أصل في الوضع اللّغوي معروفا تدلّ الشّواهد على أنّه اختصّ به حين وضع...» [4].

ومعنى قوله هو أنّ الاستعارة هي استعمال اللّفظ في غير محلّه ليزيد من بلاغة حجّته وهذا ما جعلها ضمن آليات الحجاج البلاغيّة بل أقواها وأنفعها.

3-3-3- التّمثيل:

هو عقد الصّلة بين صورتين، ليتمكّن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه، وقد عقد الجرجاني فصلا في مواقع التّمثيل وتأثيره لأنّه ممّا اتّفق العقلاء عليه أنّ التّمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو

(1) ينظر: حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته، مرجع سابق، ص 84-85-86.

(2) ينظر: صابر الحباشة، التّداوليّة والحجاج مداخل ونصوص، مرجع سابق، ص 50.

(3) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، مرجع سابق، ص 495.

(4) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 1999، ص 27.

برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صوّرها الأصليّة إلى صورته، كساها أبهة [...] فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم [...] وإن كان حجاجا كان برهان أنور، وسلطانا أقهر، وبيانه أبهر[1].

3-3-4- البديع:

إنّ ألوان البديع لها دور يقف عند الوظيفة الشّكلية صحيح هذا الرّأي لكن لها دور إضافي وهو الدّور الحجاجي لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والإبلاغ بالأثر مبلغه الأبعد[2].

فنستنتج من هذا بأنّ البديع وباقي الأساليب البلاغيّة السّابق ذكرها ليست فقط للزّخرفة والتّنميق وإنّما هي أساليب إقناعيّة تبليغيّة بالدّرجة الأولى والبلاغة مليئة بهذه الشّواهد التّي تثبت أنّ الحجاج من وظائفها الأساسيّة، وعموما هناك آليات كثيرة تساهم في بناء الخطاب حجاجيّا بما يتناسب مع السّيّاق فيختار المتكلّم ما يناسب الموقف التّخاطبي.

3-4- الآليات شبه المنطقيّة (السّلم الحجاجي):

3-4-1- تعريف السّلم الحجاجي:

السّلم الحجاجي هو علاقة ترتيبيّة للحجج يمكن أن نرمز لها كالتّالي:

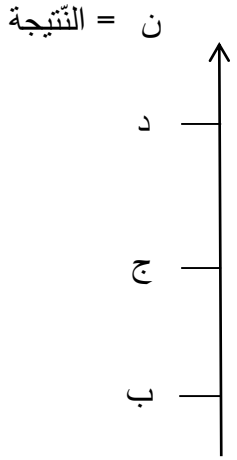

فعندما تقوم بين الحجج المنتميّة إلى فئة حجاجيّة ما، علاقة ترتيبيّة معينة فإنّ هذه الحجج تنتمي إذّاك إلى السّلم الحجاجي نفسه ، "ب" و "ج" و "د" حجج وأدلّة تخدم النّتيجة "ن" سمتين رئيستيّن هما:

(1) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، مرجع سابق، ص 296.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص496.

- كل قول يرد في درجة ما من السّلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنّسبة إل "ن"
- إذا كان القول "ب" يؤدّي إلى النّتيجة "ن"، فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدّي إليها، والعكس غير صحيح[1].

3-4-2- قوانين السّلم الحجاجي:

- **قانون النّفي:**

إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلّم ما ليخدم نتيجة معيّنة فإنّ لقيه (أي- أ) سيكون حجة لصالح النّتيجة المضادة.

- **قانون القلب:**

هو إذا كانت إحدى الحجّتين أقوى من الأخرى في التّدليل على نتيجة معيّنة فإنّ نقيض الحجّة الثّانيّة أقوى من نقيض الحجّة الأولى في التّدليل على النّتيجة المضادة[2].

- **قانون الخفض:**

مقتضى هذا القانون أنّه إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السّلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التّي تقع تحتها[3].

3-4-3- وسائل السّلم الحجاجي اللّغويّة:

يتحقّق الحجاج بالسّلم الحجاجي باستعمال أدوات لغويّة، وآليات شبه منطقيّة منها.

- الأدوات اللّغوية كالرّوابط الحجاجيّة مثل: بل، لكن، حتّى، فضلا عن ، ليس، كذا، فحسب...، السّمات الدّلاليّة ودرجات التّوكيد.
- الصّيغ الصّرفية، أفعل التّفصيل وصيغ المبالغة[4].

وانطلاقا ممّا تقدّم ذكره في مبحث نظريّة الحجاج تبيّن لنا أنّ الحجاج هو مبحث تداولي بامتياز يهتّم بالمتخاطبين وأحوالهم في الخطاب والآليات والوسائل التّي تساعد المخاطِب على التّأثير في المتلقّي وإقناعه والوصول إلى نتيجة ضمنيّة مقصودة وأنّ الحجاج حتّى ينجح ويتّم على الوجه

(1) حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، مرجع سابق، ص60.

(2) المرجع نفسه، ص 62.

(3) طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط1، 1998، ص 278.

(4) عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، مرجع سابق، ص 508.

الصّحيح لابد له من استراتيجيّات تدعمه في تحقيق الهدف، ومنه نفهم بأنّه هو الآخر يهتّم باللّغة في الاستعمال والتّوظيف ويرصد مختلف ظواهرها وهي قيد الاستعمال.

1- الاستلزام الحواري:

4-1- مفهوم الاستلزام الحواري:

يعدّ الاستلزام الحواري واحدا من أهم الجوانب في الدّرس التّداولي، تعود نقطة البداية فيه إلى "غرايس" ومفادها هذه النّقطة هو أنّ النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كلّ همّه منصّب حول إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد؛ فما يقال هو ما تعينه الكلمات والعبارات بألفاظها؛ أي معاني الألفاظ والتّراكيب، وما يقصد هو ما يريد المتكلّم أن يبلغه للسّامع بطريقة غير مباشرة، آخذا بعين الاعتبار أنّ السّامع قادر أن يصل إلى مراد المتكلّم ويفهم قصده اعتمادا على ما يملكه من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال[1].

فكانت هذه النقطة هي القاعدة الرّئيسيّة التّي مهّدت لفكرة الاستلزام الحواري عند "غرايس".

"فغرايس" من خلال نظريّة الاستلزام الحواري حاول التّفريق بين المعنى اللّغوي الحرفي الملفوظ وبين المعنى المنتج المقصود في السّياق؛ فالأخير هو كمدار العناية والبحث؛ لأنّ القصديّة المبثوثة من المتكلّم في السّيّاق هي التّي تجعل المخاطَب على خط واحد من المفهوميّة، لأنّه يعني أو يكون قريبا من الوعي بقصديّة المتكلّم[2].

من خلال ما تقدّم ذكره حول مفهوم الاستلزام الحواري نفهم بأنّ الاستلزام يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسّسة لعمليّة التّخاطب من مخاطِب ومخاطَب وخطاب منتج وملابسات الخطاب وأحوال المتخاطبين، فهو يقوم على المعنى الصّريح والمعنى المستلزم والتّأويل الدّلالي للجمل والعبارات في أثناء عملية التّخاطب بناءً على هذا يمكن القول بأنّه آلية من آليات إنتاج الخطاب يهتّم بالكيفيّة التّي يتّم بها معرفة المعنى الحقيقي الذي تتضمّنه الجملة أو يقصده المتكلّم؛ أي المعنى الفعلي القصدي.

(1) ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 33.

(2) سامي شهاب أحمد، البعد التّداولي في الخطاب النّقدي عند المبرّد كتاب الكامل في اللّغة و الأدب أنموذجا، مجلّة ديالي، كليّة التّربية للعلوم الإنسانيّة، جامعة كركوك، العدد71، 2016، ص 181.

4-2- أنواع الاستلزام الحواري:

من خلال دراسة "غرايس" المعمّقة للاستلزام الحواري رأى بأنّه نوعان هما:[1]

- استلزام عرفي قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللّغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفّك عنها مهما اختلفت بها السّياقات وتغيرّت التّراكيب...
- استلزام حواري متغيّر دائما بتغيّر السّياقات التّي يرد فيها.

بمعنى أنّ الاستلزام العرفي هو ما هو متعارف عليه ومعلوم عند طرفي المحادثة، أي كل من المخاطب والمخاطَب على علم ودراية بمعاني الجمل في أثناء إنتاج الخطاب، أمّا الاستلزام الحواري فهو الذي تتغيّر فيه الجمل ومعانيها بتغيّر مكانها في السّيّاق وهذا ما يؤدّي إلى اختلاف وتعارض بين ما يقال وبين ما يُقْصدُ أو يفهم؛ وانطلاقا من هذا نفهم بأنّ الاستلزام العرفي هو ضمن ما يقال والاستلزام الحواري هو ضمن ما يقصد[2].

4-3- مبادئ الاستلزام الحواري:

وضع "غرايس" شروط مهمّة وجب على المتخاطبين احترامها والتّقيد بها في أثناء التّخاطب وقد أسماها بمبدأ التّعاون وهذا المبدأ هو مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ فرعيّة وهي:[3].

- **مبدأ الكم**: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.
- **مبدأ الكيف**: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح ولا تقل ما ليس عندك دليل.
- **مبدأ المناسبة**: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.
- **مبدأ الطّريقة**: كن واضحا ومحدّدا، وتجنّب الغموض واللّبس أوجز ورتّب كلامك.

وعليه فإنّ هذه المبادئ، هي التّي يتحقّق بها التّعاون بين المتخاطبين ليصلوا إلى حوار مثمر ومجدي، من خلال أن مبدأ الكم يعني به جعل الحوار على القدر المطلوب من الأخبار والكيف مرتبط بالصّدق إضافة إلى مبدأ المناسبة الذي يناسب فيه الكلام مقتضى الحال والطّريقة التّي تفيد الميل نحو الإيجاز والوضوح وترتيب الأفكار وعدم الإفهام في الكلام.

4-4- خصائص الاستلزام الحواري:

(1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص33.

(2) المرجع نفسه، ص34.

(3) المرجع نفسه، ص34.

للاستلزام الحواري خصائص وميزات تميّزه عن غيره من الاستلزامات الأخرى وهي أنّ الاستلزام أوّلا يمكن إلغاؤه وذلك يتّم من خلال إضافة قول يسدّ الطّريق أمام الاستلزام أو يحول دونه، ثانيا أنّ الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدّلالي، أي أنّه متّصل بالمعنى الدّلالي للجملة لا بالصّيغة اللّغويّة لها، إضافة إلى أنّ الاستلزام متغيّر غير ثابت.

ومفاد هذا أنّ التّعبير الواحد يمكن أنّ يؤدّي إلى مستلزمات مختلفة باختلاف السّيّاقات، كما لا ننسى بأنّ الاستلزام مقدّر يمكن تقديره من خلال أنّ المخاطب يقوم بخطوات محسوب لها مسبقا حتّى يصل إلى ما يمكن أن يستلزمه الكلام، أي أنّ ما يستلزم من الكلام يمكن تقديره ورصده مسبقا[1].

ومن خلال ما تقدّم في الاستلزام الحواري نلاحظ بأنّه من أهم مباحث التّداوليّة يُساهم في إنتاج الخطابات ويهتّم بالمثلّث التّواصلي (المرسل، المرسل إليه، الرّسالة) في أثناء العمليّة التّخاطبيّة.

خامسا: الافتراض المسبق:

الافتراض المسبق هو توجيه حديثه إلى السّامع على أساس ما يفترض سلفا أنّه معلوم له، فإذا قال رجل لآخر: أغلق النّافذة فالمفترض سلفا أنّ النّافذة مفتوحة وأنّ هناك مبرّرا يدعو إلى إغلاقها، وأنّ المخاطب قادر على الحركة، وأنّ المتكلّم في منزلة الآمر وكلّ ذلك موصول بسّيّاق الحال وعلاقة المتكلّم بالمخاطب[2].

وقد ميّز بعض الباحثين بين نوعين من الافتراض المسبق، النّوع الأوّل هو الافتراض المنطقي أو الدّلالي وهو مشروط بالصّدق بين قضيّتين فإذا كانت القضيّة الأولى صادقة كان من اللاّزم أن تكون الثّانية صادقة، أمّا النوّع الثّاني وهو الافتراض التّداولي فلا دخل له بالصّدق أو الكذب فالقضيّة الأساسيّة يمكن أن تنفي دون أن يؤثّر ذلك في الافتراض السّابق ومثاله هو: إذا قلت أنّ سيارتي جديدة، ثم قلت سيارتي ليست جديدة، فعلى الرّغم من التّناقض في القولين فإنّ الافتراض المسبق هو أنّ لك سيارة لا يزال قائما في الحالين[3].

فنفهم بأنّ الافتراض المسبق قائم على توجيه الكلام للمتلقّي على اعتبار ما يفترض سلفا أنّه عالم به وهو الآخر يمثّل محورا هامّا من محاور التّداوليّة يساهم في نجاح الخطاب والعمليّة التواصليّة.

---

(1) ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني من الوعي بالخصوصيّات النّوعيّة للظّاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها، دار الأمان، الرّباط، ط1، 2011، ص 15-16.

(2) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 20.

(3) ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 26.

واستنتاجا لما تمّ طرحه في هذا الفصل هو أنّ التّداوليّة بمختلف آلياتها ونظرياتها تمثّل إحدى المرتكزات الرّئيسيّة التّي تعمل على الوقوف على المتغيّرات داخل النّص للوصول إلى المعنى الحقيقي والمقصود من الخطاب أو النّص؛ وهذه النّظريات هي مباحثها الكبرى التّي تشكّل بنية ومركز الأبحاث التّداوليّة.

فكل نظريّة شكلّت منعرجا حاسما في تاريخ المسار التّداولي من خلال تناولها بالدّراسة للّغة في مختلف جوانبها الاستعماليّة والكشف عن جوهرها الحقيقي الذي من المفترض أنّه قد كُشف من زمان، وهذه النّظريات تعمل مجتمعة لتجدّد في كل مرّة نظرتها للّغة في السّياقات المختلفة وهذا ما يساعد على فتح آفاق جديدة وعديدة في مجالات مختلفة.

أمّا عن تطبيقات هذه النّظريات على النّصوص والخطابات فكثير ومتعدّد ولعلّ في بحثنا هذا سنقوم برصد أهم هذه النّظريات والمفاهيم التّداوليّة في نوع من النّصوص ألا وهو النّص الدّيني أو بالأحرى الخطاب النّبوي الشّريفّ ونرى مدى توفّره على هذه المفاهيم هذا كلّه سنعالجه في الفصل التّطبيقي.

الفصل التّطبيقي:

السّمات التّداوليّة في موطّأ الإمام مالك

أوّلا: الأفعال الكلاميّة

ثانيا: الإشاريّات

ثالثا: الآليّات الحجاجيّة

رابعا: الاستلزام الحواري

خامسا: الافتراض المسبق

تمهيد:

تعدّ التّداوليّة من أغنى وأثرى المجالات البحثيّة؛ إذ تتقاطع وتداخل مع عديد من العلوم المعرفيّة واللّسانية –كما أسلف الذّكر– مما يجعلها هذا حقلا خصبا لمختلف التّطبيقات، بحيث يمكن تطبيق آليات البحث التّداولي على مختلف النصوص والخطابات لاسيما النّصوص التّراثيّة مثل الأحاديث النّبويّة الشّريفة التي تتضمّن العديد من السّمات والآليات التّداوليّة ما جعلها تداوليّة بالدّرجة الأولى، ولعلّ بحثنا هذا بالتّحديد في هذا الفصل التّطبيقي سنحاول الوقوف على مختلف السّمات التّداوليّة التّي سبق التّنظير لها في الفصل الأوّل، ومعرفة مدى تجلّيها في نص الحديث النّبوي –موطّأ الإمام مالك–

أوّلا: الأفعال الكلامية:

1-1- التّقريريّات:

وتدعى أيضا الإخباريّات وهي عبارة عن أفعال تصف الوقائع والأحداث التّي تحدث في العالم الخارجي وغرضها هو النّقل الصّادق للوقائع؛ فإذا تمّ هذا تحقّق شرط الإخلاص(*) وتمّت هذه الأفعال بنجاح.

ولقد وردت الإخباريّات في مواضع كثيرة ومتعدّدة في موطّأ الإمام مالك هنا إنّ دلّ على شيء إنمّا يدلّ على إعلام الرّسول –صلى الله عليه وسلّم– مخاطبيه بأمور غيبية لا يعلمها أحدا غيره وهذا يشير إلى أنّ الأفعال ذات الطّابع الاخباري عموما يكون الغرض الإنجازي منها هو الإعلام؛ ومفاده هو عندما يوجّه متكلّم ما كلاما يتضمّن خبرا إلى مخاطَب معيّن فإنّه يريد إعلامه وإخباره به بالدّرجة الأولى، وهذا ما يعرف في البلاغة العربيّة بفائدة الخبر أي: "إفادة المخاطَب الحكم الذي تضمّنته الجملة أو الجمل الخبريّة"(1).

فنجد أنّ الإمام مالك في الموطّأ أفرد بابا لوصف نار جهنّم، وتضمّن هذا الباب أنّ الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – قال مخاطِبا أصحابه: «**نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي يُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ**

(*) شرط الإخلاص: من شروط الملاءمة التي طوّرها سيرل يتحقّق هذا الشّرط حين يكون المتكلّم مخلصا في أداء الفعل فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع، وهذه الشّروط أوردها "محمود أحمد نحلة" بالتّفصيل في كتابه آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر.

(1) عبد الرحّمان الميداني، البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص129.

نَارِ جَهَنَّمَ» فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية قال: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا**»[1].

فالرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– هنا يخبر الصّحابة وجمهور المخاطبين بأوصاف جهنّم وأهوالها، فهم ليسوا على علم بهذا، فلّما قدّم لهم الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– الخبر أصبحوا على درجة من العلم به وبالتّالي ستتّم الفائدة المرجوّة من إلقاء الخبر إليهم وهي أخذ هذه الصّفات والأهوال في الحسبان ومنه تجنّب القيام بالأفعال التّي تؤدّي إلى الوقوع في جنهّم.

ويواصل الرّسول–صلّى اللّه عليه وسلّم – إخبار المخاطبين بأهوال نار جهنّم ولكنّه هذه المرّة وصف لهم شدّة حرّها ولونها، فقال: «**أَتَرَوْنَهَا حَمْرَاءَ كَنَارِكُمْ هَذِهِ، لَهِيَ أَسْوَدُ مِنَ الْقَارِ وَالْقَارُ الزِّفْتُ**»[2]؛ في هذا الحديث فعل كلامي إخباري يؤكّد فيه الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– على درجة شدّة حرّ جهنّم ولونها القاتم، فهو يقدّم خبرًا بغرض الإخبار والإعلام والتّحذير منها في الآن نفسه، وقد استعمل فعل إخباري واحد ليحقّق به أفعالا تأثيريّة وأغراضا متعدّدة، وهذا يدلّ على مدى بلاغته –صلّى اللّه عليه وسلّم– في توظيف الأفعال ومناسبتها للسّيّاقات التّخاطبيّة.

وفي حديث آخر يقول: «ما مِن شيءٍ كُنْتُ لَمْ أرَهُ إلَّا قدْ رَأَيْتُهُ في مَقَامِي هذا، حتَّى الجَنَّةَ والنَّارَ، ولقَدْ أُوحِيَ إلَيَّ أنَّكُمْ تُفْتَنُونَ في القُبُورِ مِثْلَ – أوْ قَرِيبًا مِن – فِتْنَةِ الدَّجَّالِ – لا أدْرِي أيَّتَهُما قالَتْ أسْمَاءُ – يُؤْتَى أحَدُكُمْ، فيُقَالُ له: ما عِلْمُكَ بهذا الرَّجُلِ؟ فأمَّا المُؤْمِنُ – أوِ المُوقِنُ، لا أدْرِي أيَّ ذلكَ قالَتْ أسْمَاءُ – فيَقولُ: مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ جَاءَنَا بالبَيِّنَاتِ والهُدَى، فأجَبْنَا وآمَنَّا واتَّبَعْنَا، فيُقَالُ له: نَمْ صَالِحًا، فقَدْ عَلِمْنَا إنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا، وأَمَّا المُنَافِقُ – أوِ المُرْتَابُ لا أدْرِي أيَّتَهُما قالَتْ أسْمَاءُ – فيَقولُ: لا أدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يقولونَ شيئًا فَقُلتُهُ»[3].

فالرّسول(ص) في هذا الموقع يستخدم أفعالا كلاميّة كثيرة مثل: لم أرَهُ، رأيته، أوحي إليّ، ... ليعلم أصحابه بأهوال يوم القيامة، وأنّ الله أراه الجّنة والنّار، ويصف لهم يوم السّؤال، ويعلمهم بأنّه رأى فتنة المسيح الدّجال وكذا أتباعه وهم يفتنون في قبورهم، فنفهم من هذا بأنّه استخدم أفعال

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب جهنّم، باب ما جاء في صفة جهنّم، الحديث الأوّل، ص551.

(2) المرجع نفسه، كتاب جهنّم، باب ما جاء في صفة جهنّم، الحديث الثّاني، ص551.

(3) المرجع نفسه، كتاب صلاة الكسوف، باب ما جاء في صلاة الكسوف، الحديث الرّابع، ص114.

كلاميّة كثيرة ليحقّق بها أغراضا متعدّدة، كلّ فعل موجّه لمتلقي معيّن حسب ما يقتضيه السّيّاق لأنّه هناك المؤمن من النّاس وهناك المنافق، فكلّ فعل كلامي يحقّق غرضا إنجازي حسب طبيعة المخاطَب، وفي تفريق الرّسول وتمييزه بين هذين الصّنفين من النّاس نجده يقول: «**بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودُ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ، لاَ يَسْتَطِيعُونَهُمَا**»(1).

فهنا قد أعلم الصّحابة بما يميّز المؤمن الصّالح عن المنافق وهو شهود صلاتي العشاء والصّبح.

وكذلك من الأمور الغيبية التي أعلم بها الرّسول–صلّى اللّه عليه وسلّم– أصحابه قوله: «**خيرُ يومٍ طَلَعتْ فيه الشمسُ يومَ الجُمُعةِ ، فيه خُلِقَ آدَمُ، وفيه أُهْبِطَ ، وفيه تِيبَ عليه، وفيه قُبِضَ، وفيه تقومُ الساعةُ، ما عَلَى وجهِ الأرضِ من دابةٍ إِلَّا وهِيَ تُصْبِحُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُصِيخَةً؛ حتى تَطْلُعَ الشمسُ شَفَقًا من الساعةِ؛ إِلَّا ابنُ آدمَ، وفيه ساعةٌ لا يُصادِفُها عبدٌ مُؤمِنٌ وهُو في الصلاةِ يَسألُ اللهَ شيئًا إِلَّا أعطاهُ إِيَّاهُ**»(2).

في هذا الحديث الشّريف تتوالى الأفعال الكلاميّة (خلق، أهبط، تيب، تقوم، تصبح، يصلّي، يسأل...) والتّي تفيد الإخبار بعظمة هذا اليوم عند المسلمين الذي وقعت فيه العديد من الوقائع المهمّة من مثل نزول آدم من الجنّة ووفاته، وقيام السّاعة وغيرها من الأحداث، وتهدف هذه الأفعال إلى ترغيب المسلمين في استغلال هذا اليوم العظيم والحرص على إقامة الصّلاة فيه في وقتها وبانتظام وعدم تضييع أي وقت لأنّ فيه ساعة الاستجابة قصيرة ولا يعلمها أحد من النّاس، فهذه الأفعال جاءت متتاليّة لتحقّق أغراضا إنجازيّة مختلفة وإضافة إلى الحديث عن فضل يوم الجمعة، نجد الرّسول الكريم يخبر أصحابه بمواعيد فتح أبواب الجنّة، فأخبرهم قائلا: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ...**»(3).

ففي الحديث فعلان كلاميّان الأوّل (تفتح) يعلم بموعد فتح أبواب الجنّة والثّاني (يغفر) يعلم بجزاء المسلمين في هذين اليومين، فهذان الفعلان حققا أغراضا إنجازيّة تتعدّى الإعلام بموعد فتح

(1) مالك بن أنس، الموطّأ،كتاب صلاة الجماعة، باب ما جاء في العتمة والصّبح، الحديث الأوّل، ص 83.

(2) المصدر نفسه، كتاب الجمعة، باب ما جاء في السّاعة التّي في يوم الجمعة، الحديث الثّاني، ص 70.

(3) المصدر نفسه، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة، الحديث السّابع عشر، ص 505.

أبواب الجنّة في هذين اليومين إلى الحرص على استغلال يومي الاثنين والخميس في الطّاعات والعبادات وطلب المغفرة من الله عزّ وجلّ حتّى يستجيب لدعواتهم ويغفر لهم.

وفي موضع آخر نجد الرّسول-صلّى اللّه عليه وسلّم- يعلم مخاطبيه بأمور دينهم ودنياهم، فجاء رجل يسأل عن وقت صلاة الصّبح، فسكت عنه الرّسول الكريم حتّى إذا كان من الغدّ، صلّى الصّبح حين طلع الفجر من الغدّ بعد أن أسفر، قال: «**أَيْنَ السَائِل عَنْ وَقتِ الصَلاَةِ؟ قال: هَا أَنَا يَا رَسُولَ الله! فقالَ رَسول الله: مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقتٌ**»[1].

هنا فعل كلامي إخباري أدّى غرض إعلام السّائل بوقت الصّلاة، واللاّفت للانتباه في هذا المقام هو أنّ الرّسول لم يجب السّائل مباشرة، بل أجّل الإجابة إلى يوم الغدّ، وبعدها أنجز الفعل، ثمّ أجاب السّائل بالكلمات، هنا تتجلّى حقيقة الفعل الكلامي وهذا قد زاده من القوّة والتّأثير الشّيء الكثير، فإعلام الرّسول الكريم بوقت صلاة الصّبح اقترن بتطبيقه الفعلي لهذا الفعل، لاسيما وأنّ الصّلاة ذات ميزة عمليّة تطبيقيّة وليست مجرد تعليمات تقال؛ فالسّائل هنا يأخذ الجواب عن السّؤال ويتعلّم كيفية أداء هذه الصّلاة وخطواتها فهنا أدّى الفعل الكلامي وتطبيقه حوارا جوهريّا في تحقيق غرض الإعلام.

هذه نماذج من الأفعال الإخباريّة الموجودة في أحاديث الرّسول الكريم وموطّأ الإمام مالك يعجّ ويكتظّ بها، والمقام لا يسع لذكرها وشرحها جميعا فقد اكتفينا بنماذج فقط لنوضّح أنّ خطاب الرّسول تداولي وبامتياز فهو تَمَثَّلَ لآليات التّداوليّة أكثر من أي خطاب آخر وتميّز هذا التّمثّل بالإبداعيّة والبلاغة وحسن التّوظيف.

2-1- الوعديّات:

ويطلق عليها بالالتزاميّات وهي أفعال كلاميّة يقصد بها المتكلّم الالتزام طوعا بفعل شيء للمخاطَب في الزّمن المستقبل، ويشترط فيها أن يكون المتكلّم مخلصا في كلامه، عازما على الوفاء بما التزم به[2]

وظّف الرّسول-صلّى اللّه عليه وسلّم- الالتزاميّات كثيرا في أحاديثه وغالبا ما قرنها بأفعال التّرغيب والتّرهيب التّي ما تقترن في الغالب هي الأخرى بأفعال الوعد والوعيد وعمد إلى توظيفها لأنّها من

(1) مالك بن أنس، الموطّأ،كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة ، الحديث السابع عشر، ص505.

(2) ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغّوي المعاصر، مرجع سابق، ص104.

أنجع الأساليب في التّقرب إلى الله تعالى، وفي هذا القول يقول-صلّى اللّه عليه وسلّم- «**مَنْ اغْتَسَلَ يَوْم الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ، ثُمَ رَاحَ في السَّاعَةِ الأُلى، فَكَأَنَّمَا قَرّبَ بَدَنَةً....**» (1).

فهنا رغّب أصحابه في الاغتسال ليوم الجمعة والتّبكير للصّلاة في السّاعات الأولى للحصول على الثّواب الأعظم الذي يعادل التّصدق بالبدنة، فتجده هنا قد استخدم أسلوب التّمثيل لتبيان جزاء التّبكير للصّلاة وهذا ما له من قوة التّأثير والتّرغيب للقيام بمثل هذا الفعل.

كما نجده في موضع آخر يقول: «**من أنْفق زَوْجَيْنِ فِي سَبِيل الله نُودي من أَبْوَاب الْجنَّة يَا عبد الله هَذَا خير، فَمن كَانَ من أهل الصَّلَاة نُودي من بَاب الصَّلَاة وَمن كَانَ من أهل الْجِهَاد دعِي من بَاب الْجِهَاد، وَمن كَانَ من أهل الصّيام دعِي من بَاب الريان، وَمن كَانَ من أهل الصَّدَقَة دعِي من بَاب الصَّدَقَة**»، فَقَالَ أَبُو بكر: بِأبي وَأمي أَنْت يَا رَسُول الله، مَا على من دعِي من تِلْكَ الْأَبْوَاب من ضَرُورَة، فَهَل يدعى أحد من تِلْكَ الْأَبْوَاب كلهَا، قَالَ: «**نعم وَأَرْجُو أَن تكون مِنْهُم.**» (2).

في هذا الحديث الشّريف مجموعة متتاليّة من الأفعال الكلاميّة التي ترّغب في أعمال الخير التّي توصل بصاحبها إلى الجنّة وأوّل هذه الأعمال الإنفاق في سبيل الله، فمن عمل هذه الأعمال نال الثّواب والجزاء وهو أن ينادى عليه من أحد هذه الأبواب، فالرّسول الكريم رغّب عباد الله بفعل هذه الأعمال من خلال تبيان جزاء كلّ عمل، فالأفعال الواردة في هذا الحديث جاءت متتاليّة لتحقيق أغراضا إنجازية كثيرة منها التّرغيب في فعل الخيرات، التّرغيب في الجهاد، التّرغيب والتّحبيب في الصّدقة والصّيام لما لهما من أجر عظيم.

كما نجده يرّغب في الصّدقة في موضع آخر لكن هذه المرّة يخاطب النّساء قائلا: «**يَا نِسَاءَ المُؤْمِنَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ إِحْدَاكُ أَنْ تُهْدِي بِجَارَتِهَا وَلَوْ كُرَاعَ شَاةٍ مُحْرَقًا**»(3).

فالرّسول الكريم هنا وظّف أفعالا كلاميّة ليرغّب الصّدقة لنساء المؤمنين مخاطبا إيّاهنّ بأسلوب النّداء الذي يفيد الإقبال على فعل هذا العمل، مفاد هذا الحديث هو أنّ المتصدّقات لهن أجرا عظيما حتّى ولو كانت الصّدقة شيئا قليلا.

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الجمعة، باب العمل في غسل يوم الجمعة، الحديث الأوّل، ص67.

(2) المصدر نفسه، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الخيل والمسابقة بينهما والنّفقة في الغزو، الحديث التّاسع والأربعون، ص263.

(3) المصدر نفسه، كتاب الصّدقة، باب التّرغيب في الصّدقة، الحديث الرّابع، ص 553.

وعليه نجد أنّ الرّسول-صلّى اللّه عليه وسلّم-استخدم أسلوب التّرغيب بامتياز ليرغّب أصحابه وجمهور المتلقّين في عمل الخيرات والعبادات والتّقرب من الله تعالى، إضافة إلى هذا نجده في مواضع أخرى يَعِدُ عباد الله بأمور جزاء أعمالهم ومن بين هذه الوعود الوعد بالجنّة فنجده يخاطبهم قائلا: « **خَمسُ صَلَواتٍ كَتَبهنَّ اللهُ عزّ وَجَل على العبادِ، فمن جاء بهنَّ لم يُضَيِّعْ منهنَّ شَيئًا استِخفافًا بحَقِّهنَّ، كان له عند الله عَهدٌ أن يُدخِلَه الجنَّةَ، ومن لم يأتِ بهنَّ فليس له عند اللهِ عَهدٌ؛ إن شاء عَذَّبه، وإن شاء أدخَلَه الجنَّةَ**»[1].

في هذا الحديث استخدم الرّسول الكريم أفعالا كلاميّة كثيرة ولكن الأهمّ فيها هو "كان له عند الله عهدٌ" ليبيّن للعباد أنّ من يحافظ على الصّلوات الخمس ويؤدّيها على أكمل وجه ولا يستخفف بإحداها كان له عند الله وعد بالدّخول إل الجنّة؛ أي أنّ الله وعد عباده الصّالحين بالدّخول إلى الجنّة جزاءً لإتقانهم الصّلاة وحرصهم الشّديد على تأديتها على الوجه المطلوب، فنجد الرّسول الكريم يعد المخاطبين بهذا الوعد جزاءً لأعمالهم وهو في الآن نفسه يرّغبهم في حسن تأدية الصّلاة والخشوع فيها وعدم تضييعها.

وفي حديث آخر نجده يقول: «**تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ** »[2].

نجد الرّسول-صلّى الله عليه وسلّم-في هذا الحديث قد استخدم فعلين التزاميّين الأوّل (يدخله) وَعْدٌ بالجنّة في الآخرة والثّاني (يرجعه) وَعْدٌ بالعودة سالما معافى إلى مسكنه غانما في الدّنيا، وبهذا فالغرض الإنجازي لهذين الفعلين هو الوعد بالجنّة لمن جاهد في سبيل الله.

فالرّسول الكريم وعد في أحاديثه المؤمنين ورغّبهم في العبادات وأمور الدّنيا التي يتقرّب بها العبد إلى المولى ومع هذا إلاّ أنّه في مواضع أخرى نجده يرّهب المخاطبين ويخبرهم بوصول ضرر إلى من فعل

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب صلاة اللّيل، باب الأمر بالوتر، الحديث الرّابع عشر، ص 78.

(2 المصدر نفسه،كتاب الجهاد، باب التّرغيب في الجهاد، الحديث الثّاني، ص 250.

فعلة معيّنة فجده يقول في هذا الحديث: «**الله أكْبرْ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذا نَزَلْنا بساحَةِ قَوْمٍ فَساءَ صَباحُ المُنْذَرِينَ**»(1).

ومعنى هذا الحديث هو أنّ الرّسول الكريم حين خرج إل خيبر، أتاها ليلا، وكان إذا أتى قوما باللّيل لن يغر حتّى يصبح، فخرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلمّا رأو الرّسول قالوا: محمّد والله محمّد والخميس، فقال الرّسول حديثه السّابق مشيرا إلى الوعيد الشّديد مستخدما في ذلك فعلين كلاميّين التزاميّن هما (خربت) و(ساء) ليدلّ بهما على الخراب وسوء العاقبة، فهو هنا ينذر ويخبر بالعقاب الشّديد الذي سيلحق بهم على ما فعلوا.

كما نجده في حديث آخر يقول: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى مِنْبَرِي آثَمًا تَبَوَّأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(2). فالوعيد وغرضه في هذا الحديث واضحا وبشدّة من خلال الفعل الكلامي (تبوّأ) والذي مفاده وصول الضّرر لكل من يحلف آثما على منبر الرّسول فكان-صلّى اللّه عليه وسلّم- هنا قد وجّه الوعيد بأسلوب مباشر وواضح وعليه قد أدّى الفعل الكلامي غرضه الإنجازي بدقّة.

وما نلاحظه هنا هو أنّه في الحديث الشّريف زاوج الرّسول الكريم بين التّرغيب والتّرهيب مستخدما في ذلك أفعالا كلاميّة التزاميّة مناسبة للمقام التّخاطبي ومحقّقة للأغراض الإنجازيّة المقصودة منها، وموطّأ الإمام مالك لا يخلو من هذه الأفعال المتواجدة على مختلف أبوابه ولكن اقتصرنا على رصد نماذج فقط من هذه الأفعال لنبيّن مدى تجليها في أحاديث وخطابات الرّسول.

3-1-الأمريّات

ويطلق عليها أيضا بالطّلبيّات أو التّوجيهات والمقصود بها تلك الأفعال الدّالة على الطّلب بغية حمل المخاطَب بدرجات مختلفة على أداء عمل معيّن وهذه الأفعال تظهر بوضوح في أفعال الأمر والنّهي والاستفهام والنّداء ... وأحاديث الرّسول في الموطّأ محمّلة بمثل هذه الأفعال، فنجدُ الرّسول-صلّى اللّه عليه وسلّم-يقول: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا، وَلَوْ شَاءَ لَرَدَّهَا إِلَيْنَا فِي حِينٍ**

(1) مالك بن أنس، الموطّأ،كتاب الجهاد، باب ما جاء في الجمل والمسابقة بينهما والنّفقة في الغزو، الحديث الخامس والأربعين، ص263.

(2) المصدر نفسه، كتاب الأقضية، باب ما جاء في الخنث على منبر النّبي، الحديث الثّالث عشر، ص404.

غَيْرِ هَذَا، فَإِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ أَوْ نَسِيَهَا، ثُمَّ فَزِعَ إِلَيْهَا، فَلْيُصَلِّهَا، كَمَا كَانَ يُصَلِّيهَا فِي وَقْتِهَا»[1].

في هذا الحديث الشّريف متوالية من الأفعال الكلاميّة أوّلها النّداء الذي جاء عبارة عن نداء عام (يا أيّها النّاس) يشمل جميع النّاس ولم يستثني أحدا، الغرض منه هو شدّ الانتباه ولفته إضافة إلى التّهدئة من روعهم والفزع الذي أصابهم وتوجيههم إلى ما يجب فعله حين ينامون عن الصّلاة أو نسيانها، إضافة إلى الأمرّ الصّريح (فليصلّها كما كان يصلّيها في وقتها) الذي يفيد عرض القيّام بالفعل على هذا الوجه وتوجيههم إلى تأدية الصّلاة على الصّفة التي تؤدّى بها في وقتها العادي.

ومن الأغراض المعروفة للنّداء نجد الدّعاء والذي استخدمه الرّسول بكثرة في أحاديثه من ذلك قوله: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ**»[2].

فالرّسول هنا يدعو الله مستهلّا دعاءه بلفظ (اللّهم) بأن يحمي المدينة المنوّرة وينزّل عليها البركة وأن يحميها ويصرف عنها الأسقام والأمراض والأوبئة، فالرّسول هنا يوجّه الدّعاء للمولى عزّ وجلّ طالبا منه العون والإعانة على حفظ المدينة المنوّرة.

وفي موضع آخر نجد محمّدا-صلّى اللّه عليه وسلّم-قد خصّ أمّته بالنّداء قائلا: «**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! وَاَللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً**»[3]. لقد استخدم الرّسول الكريم هنا فعل النّداء (يا أمّة محمّد) مخصّصا إيّاها بالنّداء، أي أنّ كلامه موجّها لها دون غيرها من الأمم بغرض التّأكيد على ما يعلمه هو ولا يعلموه هم ممّا يدلّ هذا على إظهاره للشّفقة عليهم وعلى حالهم والرّحمة بهم، ففعل النّداء في هذا الحديث موجّه إلى المسلمين دون غيرهم من عباد الله، لتحقيق الغرض الإنجازي وهو الاختصاص أو التخصيص.

كذلك نجد الرّسول يستخدم النّداء في مناسبات مختلفة ومتّعدّدة منها الرّثاء ومن ذلك ما قاله الرّسول: «غُلِبْنَا عَلَيْكَ يا أبَا الرَّبِيعِ»[4]. فالرّسول هنا ينادي عبد الله بن ثابت بكنيته تعظيما وتكريما

(1) مالك بن أنس، الموطّأ،كتاب الصّلاة، باب النّظر في الصّلاة إلى ما يشغلك عنها، الحديث الرّابع، ص64.

(2) المصدر نفسه، كتاب الجامع، باب ما جاء في وباء المدينة، الحديث الرّابع عشر، ص495.

(3) المصدر نفسه، كتاب الطّهارة، باب ما جاء في السّواك، الحديث الأوّل، ص58.

(4) المصدر نفسه، كتاب الجنائز، باب النّهي عن البكاء على الميّت، الحديث الأوّل، ص 226.

له حيّا أو ميّتا وعليه فإن الغرض الإنجازي لفعل النّداء هذا هو الحسرة والتّفجّع وإبداء الحزن من قبل الرّسول على وفاة أبا الرّبيع.

أيضا من الطّلبيّات أو الأمريّات الموجودة في أحاديث الموطّأ ما اقترن بأفعال الأمر المباشرة ومثال هذا قوله عليه الصّلاة و السّلام: «**أَتَاني جبْرِيلُ فَأَمَرنِي أَنْ آمُرَ أَصْحَابِي أَوْ مَنَ مَعِي أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتهمُ بِالتَلْبِيَةِ أَوْ بالإِهْلاَلِ**»[1]. في هذا الحديث الشّريف ورد الفعل (أمرني) و(آمر) للدّلالة على ما يجب فعله في الحجّ وهو رفع الصّوت في أثناء التّلبية وعليه فإنّ الغرض الإنجازي لفعلي الأمر هنا هو التّوجيه والأمر بالتّطبيق.

وفي حديث آخر يقول: «**أَلَمْ آمُرُكُمُ أَنْ تُؤَذِنُوني بِهَا**»[2]. هنا ورد الفعل الكلامي الطّلبي (آمر) مقترنا بالاستفهام، خاطب به الرّسول أصحابه الذين لم يعلموه بموت امرأة مسكينة، لأنّه قبل وفاتها أمرهم وطلب منهم إخباره بموتها أو إن أصابها مكروه، فاستخدم الأمر وقرنه بالاستفهام في هذا الموضع لتحقيق الغرض الإنجازي وهو الأمر بالفعل والذي يحمل في مضامينه الاستفهام غير الحقيقي الذي يفيد التّعجّب و العتاب.

وقد ورد الأمر في مواضع أخرى من أحاديث الرّسول الكريم ليدلّ على طلب حصول الفعل على سبيل التّكليف والإلزام ومثال هذا قوله عليه الصّلاة و السّلام لزوجه عائشة –رضي الله عنها– آمرًا إيّاها بإعادة الخميصة المهداة إلى صاحبها أبي جهم بن حذيفة: «**رُدِّي هَذهِ الخَمِيصَةُ إلى أَبِي جَهَمٍ، فَإِنِي نَظَرْتُ إِلَى عَلَمِها فِي الصَّلاَةِ فَكَادَ يَفْتِنَنِي**»[3]. فهنا الفعل الكلامي (ردّي) أمر حقيقي ومباشر غرضه الإنجازي هو الطّلب والالتزام بإرجاع الهديّة إلى صاحبها أبي جهم من قبل عائشة لأنّها تسببت في انشغال ولفت نظر النّبي–صلّى اللّه عليه وسلّم– عن أداء الصّلاة.

4–1– الإيقاعيّات:

الإيقاعيّات هي أفعال كلاميّة النّطق بها يؤدّي إلى إيقاع الفعل وتشمل أفعالا كثيرة مثل أفعال البيع والشّراء والهبة والوصيّة والوقف والزّواج والطّلاق... وغيرها من الأفعال التّي توقع باللّفظ فعلا، وموطّأ الإمام مالك احتوى على العديد من مثل هذه الأفعال، من بينها قول الرّسول–صلّى اللّه عليه

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الحجّ، باب رفع الصّوت بالإهلال، الحديث الأوّل، ص319.

(2) المصدر نفسه، كتاب الجنائز، باب التّكبير على الجنائز، الحديث الثّاني، ص221.

(3) المصدر نفسه، كتاب الصّلاة، باب النّظر في الصّلاة إلى ما يشغلك عنها، الحديث الأوّل، ص83.

وسلّم-: «**قَدْ أَنْكَحْتَكُمَا بِمَا مَعَكَ مِنْ القُرْآنِ**»[1]. فبمجرد نطق الرّسول بالفعل (أنكحتكما) تمّ فعل الزّواج بين رجل وامرأة اختارت الرّسول الكريم وليّا لها.

كما نجده في موضع آخر يقول لسبيعة الأسلميّة التّي نفست بعد وفاة زوجها بليالٍ: «**قَدْ حَلَلْتِ فَانْكِحِي مَنْ شِئْتِ**»[2]. فتلفّظ الرّسول بالفعل (قد حللت) يدلّ على انقضاء مدّة العدّة لهذه المرأة ويحقّ لها الزّواج أو التّجميل وغيرها من الأفعال الممكنة الأخرى المترتّبة عن انقضاء مدّة العدّة، فهذا الفعل المستخدم فعل كلامي إيقاعي غرضه الإنجازي إيقاع الفعل.

وفي حديث آخر يقول: «**سُنُّوابِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ**»[3]. بمعنى أخذ الجزية منهم مثلهم مثل أهل الكتاب وفعل الأمر هنا هو (سنّوا) وهو فعل إقاعي بامتياز، لأن التلفّظ به يؤدّي إلى تحقيقه وإيقاعه، وهذا الفعل قام به أصحابه بعد حين، فقد أخذ عمر بن الخطّاب الجزية من مجوس فارس.

وفي موضع آخر يقول: «**مَنْ غَيَّرَ دِينَهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ**»[4]. فهنا الرّسول الكريم لمجرد تلفّظه للفعل (فاضربوا) فقد أوقع فعل قتل المرتدّ عن دينه؛ أي من خرج من دين الإسلام إلى دين آخر غيره، وهو هنا فعل أمر مباشر يجب تطبيقه بمجرّد وقوع الفعلة التّي ينصّ عليها.

وفي موقف آخر نجد الرّسول الكريم يقول: «**الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ**»[5]. في هذا الحديث الشّريف فعلان كلاميان ضمنيان مجرّد التّلفّظ بهما يؤدّي إلى إيقاع الفعل مباشرة؛ فالأوّل يفيد نسبة الولد لأبيه والثّاني يفيد إقامة الحدّ على المرأة الزّانية وهو الرّجم بالحجر.

كما نجده في حديث آخر يُقِّر عقوبة القطع في موضوع السّرقة، فيقول: «**القَطْعُ في رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا**»[6]. فهنا الرّسول لما ذكر كلمة (القطع) فهو يقرّ بإيقاع الفعل بطريقة ضمنيّة؛ أي أنّه من يسرق ربع دينار فما أكثر أقيموا عليه حدّ القطع وعليه فإنّ أحاديث الرّسول عليه الصّلاة والسّلام جاءت مشبّعة بالأفعال الكلاميّة الإيقاعيّة والتّي بدورها هي الأخرى تفيد أغراضا مقصودة فنجد في مرّات عديدة يستعمل في الحديث الواحد وفي الفعل الواحد فعلين كلاميّين من مثل المزاوجة بين

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب النّكاح، باب ما جاء في الصّداق والحياء، الحديث الأوّل، ص469.
(2) المصدر نفسه،كتاب الطّلاق، باب عدّة المتوفّى عنها زوجها إذا كانت حاملا، الحديث الرّابع، ص522.
(3) المصدر نفسه، كتاب الصّدقة، باب جزية أهل الكتاب والمجوس، الحديث الثّاني، ص 264.
(4) المصدر نفسه، كتاب الأقضية، باب القضاء فيمن ارتدّ عن الإسلام، الحديث الأوّل، ص 408.
(5) المصدر نفسه، كتاب الأقضية، باب القضاء بإلحاق الولد لأبيه، الحديث الأوّل، ص 410.
(6) المصدر نفسه، كتاب الحدود، باب ما يجب فيه القطع، الحديث الرّابع، ص 461.

الطّلبيّات –الأمريّات– والإيقاعيّات مثل ما تطرقنا إليه في الأحاديث سالفة الذّكر، هذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على حنكة وبلاغة ودقّة أسلوب الرّسول الكريم في توظيف الأفعال حسب ما تقتضيه السّيّاقات المقاميّة وحسب كل فعل ما يحقق من أغراضا إنجازيّة مناسبة له.

5-1- البوحيّات:

ويطلق عليها التّعبيريّات وهي أفعال كلاميّة يعبّر بها المتكلّم عن حالته النّفسيّة وما يخالجها من مشاعر وأحاسيس الفرح والحزن والرّضا والنّجاح وغيرها من المشاعر.

والأفعال التّعبيريّة تعبّر بصفة عامّة عن موقف المتكلّم النّفسي ولكنّها تتعدّى بأثرها لتؤثّر في أطراف أخرى في العمليّة التّخاطبيّة، وهذا ما نلحظه يتجلى في أحاديث الرّسول –صلّى اللّه عليه وسلّم– فنجده يعبّر عن مشاعره قائلا: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وُنُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَةَ وَأَنَا أُحَرِّمُ ما بَيْنَ لاَبَتَيْهَا**»(1).

فالرّسول هنا أبدى مشاعره اتّجاه المدينة المنوّرة وحبّه لها وفرحته برؤية جبل أحد، فباستخدامه للفعل (يحبنا) و(نحبه) كان قد عبّر عن المودّة والمحبّة التي يكنّها لجبل أحد وأهله الذين كانوا يحبّونه هم الآخرين.

وواصل حديثه وتعبيره عن حبّه للمدينة المنوّرة قائلا: «**مَا عَلَى الأَرْضِ بُقْعَةٌ هِي أَحَبُّ إلى أَنْ تَكُونَ تَبْرِ بِهَا، مِنْهَا**»(2). وكرّر ذلك ثلاث مرات فهو هنا أبدى حبّه الشّديد للمدينة لدرجة أنّه يتمنّى أن يُدفَن فيها حيث أنّ هذه التّعابير والمشاعر الصّادرة من النّبي اتّجاه المدينة كانت قد أثّرت في الصّحابة وأتباع الرّسول الكريم والمسلمون جميعا فيما بعد، فأصبحوا جميعا يتمنّون رؤية المدينة بلهفة والإقامة فيها.

ومن الأفعال الكلاميّة التّعبيريّة ما ورد في قوله عليه الصّلاة و السّلام: «**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَحْبَبْتُ أَنْ لاَ أَتَخَلَّفَ عَنْ سَرِيَّةٍ تَخْرُجُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنِّي لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ وَلاَ يَجِدُونَ مَا يَتَحَمَّلُونَ عَلَيْهِ فَيَخْرُجُونَ وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا بَعْدِي فَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا فَأُقْتَلُ**»(3).

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الجامع، باب ما جاء في تحريم المدينة، الحديث التّاسع، ص494.

(2) المصدر نفسه، كتاب الجهاد، باب الشّهداء في سبيل الله، الحديث السّابع، ص404.

(3) المصدر نفسه، كتاب الجهاد، باب التّرغيب في الجهاد، الحديث الثّاني، ص407.

في هذا الحديث استخدم الرّسول متوالية من الأفعال الكلاميّة التّعبيريّة التّي تعبّر عن مدى حبّه للجهاد والقتال في سبيل الله (لأحببت، لا أجد، فوجدت، فأقتل...) وكذلك عبّر عن مدى شفقته على أصحابه الذين يتخلّفون عن الجهاد فيُحرَمون من ثوابه.

ويواصل معبّرا عن مشاعره وما يخالج شعوره، فيقول: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا، فَأُرِيدُ أَنْ أَخَتبِئ دَعْوَتِي، شَفَاعَةً لأُمَّتِي في الآخِرَةِ**»(1).

فهنا من شدّة حبّ النّبي لأمّته وتمنّيه لها بالخير والفلاح أراد أن يخبّئ دعوته لليوم المنتظر حتّى تشفع لأمّته، فأسلوبه هنا في التّعبير عن مشاعره بليغ ومؤثّر بامتياز، فاحتفاظه بدعوته لأمّته ولم يدعو بها لنفسه يدلّ على الحب العظيم الذي يكنّه لأمّته والخير الذي يتمنّاه لها.

وفي موضع آخر يقول: «**أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَنْتَهُوا عَنْ حُدُودِ اللهِ، مَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ القَاذُورَاتِ شَيْئًا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِ لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ**»(2).

هنا عبّر الرّسول الكريم عن ذمّه وكرهه لفاحشة الزّنا ومقتها وهذا يدلّ على مدى استقباحه لهذا الفعل الذي سمّاه بالقاذورات وعُبِّرَ عنه في القرآن الكريم بالفاحشة، وقد قدّم الرّسول هذه التّعبيرات ليُنَفِّر النّاس منه حتّى لا يقعوا فيه، وكان قد أحسن اختيار الكلمة المعبّرة عن هذا الفعل الشّنيع لأنّه كان يعلم بأنّها تعني عند العرب كل ما هو قبيح وسيّء.

وفي حديث آخر يقول: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ الشَّجَرَةِ، فَلاَ يَقْرَبْ مَسَاجِدَنَا، يُؤْذِينَا بِرِيحِ الثُّوْمِ**»(3). نهى الرّسول عليه الصّلاة و السّلام عن الدّخول إلى المسجد بريح الثّوم واستقبح هذا الفعل فعبّر عن هذا باستخدام الفعل الكلامي (يؤذينا) ليعبّر عن إحساس كل من يذهب إلى المسجد ويتأذّى من تلك الرّوائح.

ونهى بعبارة صريحة عن عدم دخول المسجد برائحة الثّوم الكريهة احتراما لخصوصيّة المكان وتعظيما لعبادة الصّلاة.

وفي حديث آخر نجده يقول: «**خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ بَنِي قُرَيْظَةَ**»(4).

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في الدّعاء، الحديث الأوّل، ص 206.

(2) المصدر نفسه، كتاب الحدود، باب ما جاء فيمن اعترف على نفسه بالزّنا، الحديث الأوّل، ص 495.

(3) المصدر نفسه، كتاب وقوت الصّلاة، باب النّهي عن دخول المسجد بريح الثّوم وتغطية الفم، الحديث الأوّل، ص21.

(4) المصدر نفسه، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في قتل الحيّات وما يقال في ذلك، الحديث الثّالث، ص 540.

فالرّسول استخدم فعل كلامي تعبيري (أخشى) ليعبّر عن مدى خوفه واهتمامه بسلامة صاحبه وحمايته لعرضه وحياته، فقد أبدى مشاعره اتّجاه صاحبه وهو يخاطبه، فالفعل الكلامي هنا نابع من الرّسول ومؤثّر في صاحبه، فهو في الآن نفسه ينصح ويوجّه ويعبّر ويبيّن ويُعْلِم وهذا يدلّ على دهاء وبلاغة الرّسول في التّعبير والكلام وحسن التّوظيف.

وعليه يمكن القول أنّ أحاديث الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– لاسيما موطّأ الإمام مالك جاءت محمّلة ومشّبعة بالأفعال الكلاميّة على مختلف أنواعها وبكثرة، حتّى أنّه في كثير من الأحيان نجده يوظّف في حديث واحد كل أنواع الأفعال الكلاميّة وهذا بحسب ما يقتضيه ويتطلّبه السّيّاق التّخاطبي. وكان توظيفه لهذه الأفعال تداوليّا وبلاغيّا بامتياز فقد عبّر عن الغرض الإنجازي الذي يريد تحقيقه بدقّة.

ثانيا: الإشاريّات.

1.2. الإشاريّات الشّخصيّة:

هي تلك العناصر التّي تدلّ على الشّخص أو المتكلّم داخل الخطاب وتحيل عليه؛ وهذه الإشاريّات نجدها موجودة في خطاب الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– من ذلك قوله: لامرأة كانت تطيل ذيلها وتمشي في المكان القذر في باب مالا يجب الوضوء منه: «**يُطَهِّرُهُ مَا بَعْدَهُ**»[1].

هذا الحديث تضمّن بعدا إشاريّا وهو ضمير المتكلّم (أنا)، حيث أنّ الرّسول وهو المتكلّم هنا لم يتلفّظ بضمير المتكلّم (أنا) في بداية خطابه لأنّه اجتمع مع المتلقّي وجها لوجه، لماذا؟ لأنّه في هذه الحالة ضمير المتكلّم تفسّره وتدلّ عليه المشاهدة، ولكن الشّيء الذي يدلّ على حضور الأداة الإشاريّة الشّخصيّة (أنا) في ذهن المرسل إليه هو إحالته لفظا على المرسل؛ فالسّيّاق هنا يوضّح بأنّ الرّسول هو صاحب الكلام لأنّه يبيّن لها حكم المشي في المكان القذر إذا كان يفسد الوضوء أم لا، فهنا الأداة الإشاريّة الشّخصيّة جاءت مستترة غير واضحة لفظا ولكن تلفّظ الرّسول بالحكم دلّ عليها. أيضا وما يمكن أن نشير إليه هنا هو أنّ –صلّى الله عليه وسلّم– في خطابه لا يستعمل ضمير المخاطب (أنا) بغرض الفخر أو التّفاخر بل بغرض أنّه هو مصدر التّشريع أو المشرّع النّاطق بالحكم.

(1) مالك بن أنس، الموطّأ،كتاب الطّهارة، باب مالا يجب منه الوضوء، الحديث الرّابع عشر، ص 28.

وفي وصفه وإخباره لأصحابه بأهوال النّار يقول: «**أَتَرَوْنَهَا حَمْرَاءَ كَنَارِكُمْ هَذِهِ؟ لَهِيَّ أَسْوَدُ مِنَ الْقَارِّ**»(1).

تضمّن هذا الحديث عناصر إشاريّة منها ضمير المخاطب (أنتم) ولكنّه جاء غير واضح لفظا لأنّ أصحاب الرّسول هم أمامه في أثناء مخاطبته لهم كذلك لم يصرّح بالضّمير (أنتم)، كما استعمل اسم الإشارة (هذه) ليشير بها إلى النّار الموجودة في الدّنيا وليست نار الآخرة ولهذا الضّمير دلالة تفيد التّوكيد والتّوضيح بشأن الفرق بين النّارين. حيث استعمل كل من هذين الضّميرين في أسلوب استفهام غير حقيقي غرضه التّوكيد، وبالتّالي استخدامه لاسم الإشارة (هذه) هو إحالة إلى نار الدّنيا ثمّ يواصل توظيف الإشاريّات كضمير الغائب (هي) مقرونا بلام التّوكيد ليُحيل مرّة أخرى على أنّ نار الآخرة غير نار الّدنيا فهي أسود من القار، وعليه فالرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– استخدم إشاريّتين ليوضّح للصّحابة الفرق بين النّارين وأيّهما أشدّ وأهول والغرض الحقيقي من وراء كلام الرّسول الكريم ومكمن قصده هو التّرهيب والتّحذير وهذه الإشاريّات زادت هذا الغرض خِدمة ليصل إليه المتلقّي ويفهمه وذلك من خلال السّيّاق الذي قيلت فيه، والجدير بالذّكر هنا هو أنّ هذه الإشاريّات لا تعتبر منطقيّا إشاريّات شخصيّة لأنّها تحيل على شيء من الموجودات وهو النّار ولكن قواعد وغرض التّركيب تَطَلّب ذلك.

وفي حديث آخر نجده يقول: «**أَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ فَرَأَيْتُ رَجُلًا آدَمَ. كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أَدْمِ الرِّجَالِ. لَهُ لمّة كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ قَدْ رَجَّلَهَا، فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً. مُتَّكِئًا عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ عَلَى عَوَاتِقَ رِجْلَيْنِ، يَطُوفُ بِالكَعْبة. فَسَأَلْتُ: من هذا؟ قِيلَ: هذا المسِيحُ بن مريم. ثمّ إذا أنا برجلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أعْورَ العين اليمنى كأنّها عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ. فسألتُ: من هذا؟ فقيل لي: هذا المسيحُ الدّجالُ**»(2).

فالرّسول هنا نجده استعمل وكرّر ضمير المخاطب (أنت) الذي يفيد مخاطبة المفرد المذكّر وهو يخاطب الصّحابة هذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ الرّسول تعمّد توجيه الخطاب للجماعة بصيغة المفرد وذلك للفت وشدّ الانتباه، فباستخدامه لضمير المفرد كلّ فرد سينتبه لكلامه وبالتّالي

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب جهنّم، باب ما جاء في صفة جهنّم، الحديث الثّاني، ص 551.

(2) المصدر نفسه، كتاب صفة النّبي –صلّى الله عليه وسلّم–، باب ما جاء في صفة عيسى بن مريم عليه السّلام والدّجال، الحديث الثّاني، ص 511.

سينتج عنه انتباه الجميع إلى ما رآه الرّسول عند الكعبة وهو المسيح بن مريم ومنه سيعرف الصّحابة أوصاف المسيح من خلال ما قُدِّمَ إليهم من صفات، ثمّ إنّ قصد الرّسول من خلال تكراره للإشاريّة الشّخصيّة (أنت) هو الانتباه والالتفات والإعلام بصفات المسيح عيسى، وبعدها نجده قد كرّر أيضا اسم الإشارة (هذا) في مواضع كثيرة في الحديث؛ ففي المرّة الأولى تساءل باستخدام هذا الاسم الإشاري (من هذا؟) ليبحث عن لجواب أو عن الشّخص الذي رآه بالقرب من الكعبة، ثمّ لَقِيَ الجواب بصيغة (هذا المسيح بن مريم)، فالاسم الإشاري هنا يحيل في المرّتين على المسيح عيسى حيث أنّه في الأولى أحال على مصدر مجهول وفي الثّانية أحال على مصدر معلوم بعد الإجابة عن السّؤال، والرّسول لاستخدم بالتّحديد اسم الإشارة (هذا) ليضع الصّحابة أو مخاطبيه في جوّ الحديث وجعلهم وكأنّهم عاشوه معه، فهو نقل إليهم الأحداث كما هي، ثمّ واصل تكرار الأداة الإشاريّة (هذا) في موضعين أحدهما للتّساؤل والآخر للجواب لمعرفة من هو الشّخص الآخر الذي تبيّن أنّه المسيح الدّجال، ونفهم من خلال توظيفه لاسم الإشارة (هذا) الذي يدلّ على الإشارة للقريب أنّ الرّسول رأى هذين الشّخصين أمام عينيه وبالقرب منه إذ أبدع في نقل أوصافهم بدّقة شديدة، وعليه يمكن القول إنّ تكرار مثل هذه الأدوات الإشاريّة هي دلالة على الشّخص محلّ الحدث، والقصد الحقيقي من وراء هذه الاستعمالات هو تنبيه المسلمين يوم الفتنة الكبرى فتنة المسيح الدّجال، ثمّ إنّ ما يلفت الانتباه في هذا الموضع هو أنّ الرّسول قد استخدم اسم الإشارة (هنا) ليدلّ به على الشّخص ومكانه وموضعه في آن واحد. «وهذا بتمييز فلاسفة اللّغة أسماء الإشارة عن ظروف المكان واعتبارهما نوعين من أنواع الإشارة وأمّا اللّغويّون فيميلون إلى دمجهما معا، وجعلهما صنفا واحدا يشار به إلى المكان»[1].

ويقول أيضا: «**يا نساءَ المؤمناتِ، لا تَحقِرَنَّ إِحْدَاكُنَّ أنْ تُهدِيَ لجَارَتِها ولو كُراعَ شَاةٍ مُحرَقًا**»[2].

فالحديث هنا يحمل بعدا إشاريّا شخصيّا وهو النّداء، لأنّه في نداءه –صلّى الله عليه وسلم– (يا نساء المؤمنات) إشارة إلى مخاطَب معيّن وهو نساء المؤمنين فهو لم يستعمل أحد الّضمائر مثل (أنتن)

(1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 22.

(2) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الصّدقة، باب التّرغيب في الصّدقة، الحديث الرابّع، ص 552.

وغيرها بل تعمّد أسلوب النّداء لتحديد المشار إليه بدقّة والغرض من وراء هذا الاستعمال هو استدعاء وتوجيه وتنّبيه النّساء المؤمنات إلى التّصدّق لما في ذلك من أجر وثواب عظيم.

ويقول كذلك: «**لا يُصلِّي الرَّجُلُ على الجنازةِ إلّا وهوَ طاهرٌ**»[1].

في الحديث أداة إشاريّة شخصيّة وهي ضمير الغائب (هو) الذي يحيل على الرّجل الذي يجب أن يكون طاهرا حتّى يصلّي على الجنازة، فهنا لم يحدّد أي رجل يقصد وإنّما الضّمير يعود على الرّجال بصفة عامّة، والأداة الإشاريّة هنا تدلّ على المخاطَب أو المرسل إليه، فإذا وُجِّه هذا الكلام فينبغي على جميع الرّجال الأخذ به.

والقصد من وراء هذا الاستعمال الإشاري هو الإعلام بحكم الصّلاة على الجنازة وتأكيده ولكنّه جاء ضمني متضمّن في بنية الخطاب العميق يفهمه المتلقّي من خلال فهمه للرّسالة التّي قيل من أجلها الخطاب.

وعليه فإنّ الإشاريّات الشّخصيّة في أحاديث الرّسول متواترة بكثرة وباستعمالات متعدّدة وبمقاصد مختلفة، فكلّ أداة إشاريّة يتحدّد معناها ودورها والشّيء الذي أحالت عليه حسب ورودها في السّيّاق.

2-2-الإشاريّات المكانيّة

للإشاريّات المكانيّة إسهام كبير في تحديد ومعرفة المواقع في الحدث الكلامي وذلك من خلال معرفة مكان التّلفّظ واتّجاه المتكلّم، وأحاديث الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- تضمّنت واحتوت على مثل هذه الإشاريّات بما في ذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم- «**إذَا ذَهبَ أحدُكُم الغائِطَ أو البَوْلَ فلا يسْتقبْلْ القبلةَ ولا يَستَدْبرْهَا بِفَرَجْهِ**»[2].

تضمّن هذا الحديث إشاريّات مكانيّة تمثّلت في (يستقبل القبلة) بمعنى أن يكون واقفا باتّجاهها ومقابلا لها و(لا يستدبرها)؛ أي يجعل القبلة مقابل ظهره أي خلفه في أثناء قضاء الحاجة.

فالرّسول الكريم هنا أشار إلى الأماكن والمواضع التّي لا يمكن للعبد أن يقضي حاجته فيها لما في ذلك من حكمة، فقد حدّد المكان بدّقة من خلال استعماله لفعلين حقيقيّين، حيث أنّ المتلقّي عند

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الجنائز، باب جامع الصّلاة على الجنائز، الحديث الخامس والعشرون، ص 136.

(2) المصدر نفسه، كتاب القبلة، باب ما جاء في النّهي عن استقبال القبلة والإنسان على حاجة، الحديث الأوّل، ص 117.

تلقّيه للرّسالة يفهم بأنّ هاتان الوجهتان المشار إليهما هما ذلك المكان المقصود من وراء خطاب النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– فإشارته هنا جاءت واضحة جليّة فزادتها هذه الأفعال وضوحا وفهما بالنّسبة للمتّلقي.

وعليه فإن الرّسول هنا يقصد أنّه من كان واقفا في اتّجاه القبلة وهو على حاجة فلا يقضيها هنا سواء باتّجاهها مباشرة أو يجعلها خلف ظهره، وهو هنا لم يحدّد اسم القبلة لأنّه يفترض مسبقا أنّ النّاس كلّهم على علم بقبلة الصّلاة في أيّ اتّجاه هي موجودة.

وفي موضع آخر كذلك يقول: «**إذَا كَانَ أَحدُكُمْ يُصلِّي فَلا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ فإِنّ الله تبارك وتعالى قِبَلَ وجْهِهِ إذا صلَّى**»[1].

هنا أيضا حدّد الرّسول المكان الذي لا ينبغي للمصلّي أن يبصق فيه لأنّ الله تبارك هناك هو (قِبَلَ وجهه) أي أمامه، حيث أنّه ذكر الفعل أو المناسبة المعنيّة بالأمر ثم بعدها دلّ على الوجهة والمكان حتّى لا يقع المتلقّي في اللّبس والغموض في تلقّيه لهذا الأمر.

فالأداة الإشاريّة المكانيّة هنا هي (قِبَلَ) بمعنى أمام جاءت موضّحة ومعبّرة بدّقة عن الغرض المقصود في الخطاب، والرّسول فضّل الأسلوب الواضح والبيّن في طرحه وتوجيهه للخطاب في بعض القضايا بغرض سرعة الفهم والتقبّل والإقبال من طرف المتلّقي.

وفي هذا الحديث بالضبط نجده قرن وربط الإشاريّة المكانيّة بالزّمانيّة وهي وقت الصّلاة (إذا كان أحدكم يصلّي) لكنّه لم يحدّد أيّ وقت للصّلاة، لأنّ القصد الذي يريد إيصاله للمتلّقي مرتبط بالمكان وينطبق على أوقات الصّلاة جميعها.

ويقول أيضا: «**صَلاةٌ في مسْجِدي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فيما سوَاهُ إلاّ المسْجَدَ الحرامَ**»[2]. نجده هنا استخدم أداة إشاريّة مكانيّة ليشير بها إلى مسجده تمثّلت في اسم الإشارة للمفرد المذّكر (هذا)، فاسم الإشارة هنا جاء للدّلالة والإحالة على المكان وليس مثل ما جاء في أحاديث سابقة – تمّ التّعرض إليها– فالرّسول هنا أشار إل مسجده بأنّ الصّلاة فيه خير من صلوات أخرى في مساجد أخرى باستثناء المسجد الحرام.

(1) مالك بن أنس، مرجع سابق،كتاب القبلة، باب النّهي عن البصاق في القبلة، الحديث الرّابع، ص 118.

(2) المصدر نفسه،كتاب القبلة، باب ما جاء في مسجد النّبي صلّى الله عليه وسلّم، الحديث التّاسع، ص 119.

فتوظيفه هنا لهذا الاسم الإشاريّ بالتّحديد هو للدّلالة على القريب؛ أي أنّه كان يشير للمسجد وهو بالقرب منه حتّى يبيّن للمتلقي الوجهة والمكان الصّحيح، فاتجاه المتّكلم هنا كان صوب الموقع الذي هو بصدد تحديده، وعليه فإنّ مرجع الاسم الإشاري (هذا) واضحا هنا لأنّه ارتبط بلفظة (مسجدي) لأنّه لو قال (هذا) لوحدها لحصل اللّبس والإبهام ولا يدرك المتلقّي المرجع الذي يحيل عليه الاسم الإشاري.

ومن ناحيّة أخرى أفاد استخدام الأداة الإشاريّة المكانيّة (هذا) في مثل هذا الموضع في تحقيق غرض التّأكيد والإعلام والتّبيين لأنّه بذكره للفظة (مسجدي) ثمّ لفظة (هذا) هو تأكيد حقيقي على المسجد، ونجد في شأن لبس الثيّاب المصبّغة في الإحرام يقول: «**منْ لَمْ يَجدْ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ خُفَّينِ ولْيَقْطَعْهُمَا أسفلَ من الكَعْبَيْنِ**»[1].

في هذا الحديث بعدا إشاريّا مكانيّا تمثّل في الأداة (أسفل) التّي تعدّ أداة إشاريّة يشار بها لتحديد مكان الشّيء وموضعه وهي من ظروف المكان في اللّغة العربيّة، أشار بها الرّسول إلى مكان قطع الخفّيّن وهو أسفل من الكعبيّن ليبيّن بها للمتلقّي الموضع الذي يتّم فيه قطع الخفّين بدّقة، حتّى لا يقع في الغموض في أثناء تنفيذه للفعل، وقدر ربط الأداة الإشاريّة هنا بمرجع معروف وهو (الكعبين) ليتّضح مرجع الأداة (أسفل)، وبالتّالي يصبح اللّفظ (الكعبيّن) عبارة عن مرجع مضاف إليه يتّم بواسطته معرفة مرجع الإشاريّة المكانيّة في الخطاب.

ومنه يصبح المتّلقي على علم وعلى قدر من الإدراك بالمكان أو الموقع الذي أحال عليه الاسم الإشاري وقَصَدَهُ المتّكلّم في خطابه.

الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– استخدم مختلف الأدوات الإشاريّة المكانيّة ليحدّد بها المواقع والأماكن بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الأحداث الكلاميّة وكذا استخدمها ليحقّق بها أغراضا ومقاصدا ضمنيّة يعرفها المتّلقي من خلال فهمه لفحوى الخطاب، فالرّسول لم يستعمل أداة لغويّة هكذا فقط من أجل أداة وظيفتها المنوطة بها والمتعارف عليها بل أيضا لتؤدّي أغراضا ومقاصد ومعاني متضمّنة في بنية الخطاب العميقة.

(1) مالك بن أنس، الموطّأ ،كتاب الحجّ، باب لبس الثّيّاب المصبّغة في الإحرام، الحديث التّاسع، ص 190.

وفي إشارته إلى المشرق نجده –صلّى الله عليه وسلّم– يقول: «**هَا إِنَّ الفتنَةَ هَا هُنَا إنَّ الفتنَةَ**(*) **هَا هُنَا مِنْ حيثُ يَطْلَعُ قَرْنُ الشّيْطَانِ**(**)»[1].

الرّسول الكريم هنا يشير إلى مكان ظهور الفتنة والتي يقصد بها العقاب وكّل مكروه يصيب البشر، فيذكرّ بأنّها تظهر من حيث يظهر قرن الشّيطان وهو وقته وأعوانه وحزبه، ولتحديد هذه المواضع استخدم الأداة الإشاريّة (هنا) التّي تفيد الإشارة للقريب وقد كرّرها مرتيّن ليوضّح لعباد الله المسلمين مكان ظهور الفتنة، وقد جاء في سند الحديث أنّه أشار –أَمَاءَ– بيده في اتّجاه المشرق وقال بأنّ العقاب والمكروه يأتي من هناك، فنفهم من خلال هذا بأنّه استخدم نوعين من الإشارة الأولى تمثّلت في الأداة (هنا) والثّانيّة تمثّلت في الإشارة باليد إل المكان المقصود، فهنا مرجع الأداة (هنا) واضح بَيِّنٌ لأنّه دعّمه بحركة اليد وإشارتها فالمتلقّي يفهم ويعرف مباشرة المكان الذي يحيل عليه الاسم الإشاري والذي يقصده المتكلّم، ولنفترض أنّ الرّسول لم يشر بيده نحو المشرق لوقع اللّبس لدى المتلقي إذا كان لا يعرف وجهة المشرق.

أحيانا في بعض المقامات السيّاقيّة وحتّى يعرف المتّلقي مواقع الأشياء ويفهمها لابد من معرفة اتّجاه المتكلّم وإشارته حتّى يتبيّن المرجع الذي تحيل عليه الإشاريّات المكانيّة، وهذا ما تستلزمه بعض السّيّاقات التّخاطبيّة لاسيما تلك التي يفترض فيها المتّكلّم مسبقا أنّ المتّلقي قد لا يفهمها أو يعرفها إن لم يوظّف مثل هذه الإشاريّات الدّاعمة.

وكما هو الحال في الأدوات الأخرى التي تفيد أغراضا ضمنيّة، فإنّ هنا أيضا الإشاريّة (هنا) المكرّرة أفادت غرض التّبيين و التّحذير والنّصح الذي لن يُفهم إنّ لم يدقّق المتلقّي في فحوى رسالة المتّكلّم ويتّم هذا انطلاقا من مرجعيّات معرفيّة سابقة في ذهن المتلقّي.

2-3- الإشاريّات الزّمنيّة:

هي كل كلمة تدلّ على زمان يحدّده السيّاق التّخاطبي، ذلك الزّمان يمثّل مركز الإشارة الزّمانيّة في الحدث الكلامي، وأحاديث الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– احتوت على مثل هذه الإشاريّات مثل قوله: «**مَنْ أَدركَ رَكْعَةً من الصّبحِ قبْلَ أنْ تطْلَعَ الشَمْسُ فقد أدْركَ الصُّبْحَ**»[2].

(*) المحنة والعقاب والشّدة وكل مكروه.

(**) حزبه وأهل وقته وزمانه وأعوانه.

(1) مالك بن أنس، الموطّأ ،كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المشرق، الحديث التّاسع والعشرون، ص 539.

(2) المصدر نفسه ،كتاب وقت الصّلاة، باب وقوت الصّلاة، الحديث الخامس، ص 18.

هنا إشاريّة زمانيّة متمثّلة في ظرف الزّمان (قبل) استخدمه الرّسول ليبيّن للمصلّي أنّ من صلّى ركعة من الصّبح قبل وقت شروق الشّمس فقد صلّى الصّبح كاملا، فالأداة الإشاريّة (قبل) هنا أحالت على الزّمن والوقت الذي يكون قبل طلوع الشمس ولكنّها لم تحدّد أيّ وقت، هل قبل طلوع الشّمس بساعة أو ساعتين أو بنصف ساعة... فهي دلّت على زمن مفتوح ولكنّه معلوم لأنّه ارتبط بمرجع مضاف إليه وهو (طلوع الشّمس)، فالزّمن المشار إليه ينتهي بمجرد شروق الشّمس وينتهي معه الحكم.

فالسّامع أو المتلقّي يفهم من خلال هذه الرّسالة أنّ زمن إدراك الصّبح هو في الوقت الذي يسبق طلوع الشّمس، والرّسول هنا أصدر الحكم مفترضا مسبقا أنّ المتلقّي على علم بوقت صلاة الصّبح متى تبدأ لذلك أقرّ بالوقت الذي تنتهي فيه فقط باعتبار أنّ وقت البدء موجود في ذهن المتلقّي كخلفيّة معرفيّة متعارف عليها الجميع، لأنّ وقت صلاة الصّبح من الأمور الأساسيّة في الحياة معروفة ومعلومة لدى العامّة.

فالزّمان الموجود في الحديث حدّده وفرضه السّيّاق التّخاطبي واستلزمه الغرض المقصود من فحوى الخطاب، والأداة الإشاريّة الزّمانيّة هنا أحالت بدّقة ووضوح عن الوقت الذي يريد المتكلّم إيصاله للمتلقّي وإعلامه به.

ويقول أيضا: «**غَسَلُ يَوْمِ الجمعةِ واجدبٌ على كلِّ محْتَلِم**»[1].

فالرّسول هنا يحثُّ على الاغتسال في يوم ليس كغيره من الأيّام وهو يوم الجمعة ويحبّب ذلك للمسلمين والمصلّين بل يجعله واجب يحرص ويؤكّد عليه، وقد استعمل للدّلالة وتحديد اليوم الذي ينبغي الغسل فيه كلمة (يوم) وهي من ظروف الزّمان ليشير بها إلى الجمعة ويميّزها عن باقي أيّام الأسبوع. فقد وظّف هذه الإشاريّة الزّمانيّة لتحديد الوقت الذي ينبغي الغسل فيه وهو يوم الجمعة من كلّ أسبوع، فالزّمن هنا مفتوح لم يقتصر على جمعة واحدة فقط بل شمل كلّ أيام الجمعة طوال السنة، ثمّ إنّه كذلك لم يحدّد الوقت المحدّد للغسل في ذلك اليوم لأنّه يفترض مسبقا أنّ المتلقّي على علم بأنّ وقت الغسل يكون الصّباح؛ أي قبل منتصف النّهار وهو وقت صلاة الجمعة، وقد جاء هذا الزّمن متضمّن في فحوى الخطاب باعتبار أنّه موجود في المرجعيّة المعرفيّة للمتلقّي.

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الجمعة، بابا العمل في غسل يوم الجمعة، الحديث الرّابع، ص 67.

فهنا أشار إلى أنّ الغسل واجب ومحتوم في يوم الجمعة؛ أي أنّه خصّص يوم الجمعة بهذا الحكم، ومنه يفهم المتلقّي أنّ فعل الغسل واجب في الجمعة ومستّحب مرغوب في باقي الأيّام من أجل الطّهارة للصّلاة.

فالإشاريّة الزّمانية هنا أكدّت وألزمت الفعل في ذلك اليوم ونفت حكم إلزامه ووجوده في باقي الأيّام وجعلته جائزا ومستحبّا، ولكن هذه المعاني لم تظهر جليّة في الخطاب وإنّما تُفهم من ما يتضمنّه الحديث من أحكام. كما يمكن للمتلقّي فهمها ومعرفتها من خلال تحليله للخطاب وفهمه لمقاصد المتكلّم، وهذا كلّه ساهمت في إيراده الأداة الإشاريّة الزّمانيّة (يوم).

كما نجده في موضع آخر يقول عن الجمعة: «**فيهِ سَاعةٌ لا يُوَافِقُها**(*) **عبدٌ مُسْلِمٌ وهوَ قائِمٌ يُصَلِّي يسْألُ الله شَيْئا إلاّ أَعْطاهُ إِيَّاهُ**»(1).

هنا بعدا إشاريّا زمانيّا تمثّل في لفظة (ساعة) أشار بها الرّسول إلى وقتٍ من يوم الجمعة يستجاب فيه الدّعاء ويُقبَل فيه السّؤال ، فقد بَيَّن للمتلقّي ولكنّه لم يحدّد أي ساعة يستجاب فيها أهي ساعة بعد صلاة الظهر أم بعد صلاة العصر أم قبل صلاة المغرب ... فهذا يجعل المتلقّي لا يعرف تلك السّاعة المباركة فيصّلي اليوم بأكمله ويدعو فيه بين الثّانيّة والأخرى لعلّ تكون تلك السّاعة هي السّاعة المقصودة أو التّي يستجاب فيها الدّعاء ويُقبَلُ.

فالرّسول هنا أشار إلى وقت من يوم الجمعة لكنّه لم يحدّده لما في ذلك من حكمة وترغيب للمتلقّي في استغلال كلّ ساعات ذلك اليوم في العبادة والطّاعة، فوقوع المتلقّي في اللّبس هنا يقوده إلى مضاعفة العبادة وذلك لكسب الأجر والثّواب.

فكلمة (ساعة) هنا مرجعها غير معلوم لأنّها ارتبطت بيوم فيه أربع وعشرين ساعة، فيصبح المتلقّي هنا في حيرة.

فالإشاريّات الزّمانيّة هنا حملت في طيّاتها تحقيق أغراض ومقاصد غير تلك التّي تعارف عليها الجميع وإنّما أغراض أخرى مرتبطة بالمقام التّخاطبي والسّيّاق الذي أنتج فيه الخطاب.

(*) لا يوافقها: لا يصادفها

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الجمعة، باب ما جاء في السّاعة التّي في يوم الجمعة، الحديث الرّابع عشر، ص 70..

وفي باب آخر نجده يقول: «**إِذَا أراد أحدُكُم الغائطَ فَلْيبْدأْ به قَبْلَ الصّلاةِ**»[1]. فهنا يبيّن الرّسول الكريم حكم من يريد الصّلاة وهو يريد الغائط فذكر أن يقوم بالفعل قبل إقامة الصّلاة، وقد عبّر عن ذلك بإشاريّة زمانيّة وهي ظرف الزّمان (قبل) ليحدّد الوقت الذي ينبغي للمصلّي قضاء حاجته فيه وأن لا يتجاوزه، فالإشاريّة (قبل) هنا أحالت عل وقت مفتوح كذلك وهو قبل البدء في الصّلاة ولكنّها لم تحدّد في أيّ زمن هل قبلها بساعة أو أقل أو بدقائق، ولكن لما يتمعّن المتلقّي جيّدا في فحوى ونص الخطاب يفهم بأنّ (قبل) مقترنة بوقت مجيء الغائط؛ أي أنّه متى أراد المصلّي قضاء الحاجة وقد قَرُبَ وقت الصّلاة فليقضيها قبل تأديتها.

وعليه فإنّ مرجع اللّفظة (قبل) واضح هنا لأنّه قصر فعل قضاء الحاجة على وقت معيّن بالرغم من أنه مفتوح.

2-4- الإشاريّات الاجتماعيّة

هي تراكيب وعبارات وألفاظ تشير إل نوع العلاقات الاجتماعيّة التي تربط المتكلّمين من حيث هي علاقة رسميّة أو علاقة أُلفة أو غير ذلك من العلاقات ... وهي متواترة في خطابات الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– من ذلك قول: «**عَائِشةُ زوجُ النبِيّ**»[2].

هنا نجد إشاريّة اجتماعيّة متمثّلة في لفظة (زوج) وهي لفظة تطلق على الذّكر والأنثى وهناك ألفاظ عديدة في اللّغة العربيّة من مثل هذه اللّفظة، وقد جاءت في هذا الحديث ليشار بها إلى السّيّدة عائشة –رضي الله عنها– زوجة الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– وهذا تعظيما واحترامًا لها لأنّها زوجة خاتم الأنبياء وخير خلق الله، فلا ينبغي للمتكلّم أن يذكر اسمها دون هذا اللّقب الذي يُعلّي من شأنها احتراما لمقامها ومكانتها وكذلك احتراما لشخص النّبي –صلّى الله عليه وسلّم–

فلّما يسمع المتلقّي مثل هذه الألقاب والتّعبيرات يفهم مباشرة بأنّ الشخّص المقصود ليس بعادي فيعرف من خلال سيّاق الخطاب مكانة هذا الشّخص وشخصيته.

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب قصر الصّلاة في السّفر، باب النّهي عن الصّلاة والإنسان يريد حاجته، الحديث الخامس والخمسون، ص 99.

(2) المصدر نفسه، كتاب وقت الصّلاة، باب وقوت الصّلاة، الحديث الثّاني، ص 17.

كما نجده في حديث آخر يقول: «**والّذي نَفْسي بِيَدِهِ لقدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبُ ثُمَّ آمُرَ بالصَّلاَةِ فيُؤْذَّنُ لهَا ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فيَؤُمَّ النَّاسَ ثُمَّ أخَالِفَ إلى رجال فأَحرّق عليهم والّذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنّه يجد عظما سمينا أو مِرمَاتينِ**(*) **حسنتين لشَهِدَ العِشَاء**»(1).

هنا نجد الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– كرّر عبارة (والذّي نفسي بيده) مرّتين في الحديث وهو يقصد بها الله عزّ وجل، فلم يستعمل لفظة (الله) هنا بل استعمل هذه العبارة وذلك تعظيما للمولى عزّ وجلّ وتعبيرا عن طاعته الكبيرة وعبادته له وعلاقته الطيّبة مع الله سبحانه وتعالى.

فهنا الله في المقام والمرتبة الأعلى فهو أعلى رتبة من المتكلّم لذلك نجد المتكلّم عبّر بهذه العبارة تعظيما لجلاله.

فالإشاريّة الاجتماعيّة هنا تمثّلت في عبارة (والذي بيده) الذي ضمّنها الرّسول في خطابه للتّعبير عن الله تعالى وعن عظمته وسلطانه وقد دلّت هذه الإشاريّة عن العلاقة بين الله ورسوله وما تحمله من احترام وطاعة وعبادة وجلال.

ويقول في هذا الموضع: «**غُلِبْنَا عَلَيْكَ يَا أبَا الرّبيعِ**»(2).

هنا استخدم الرّسول في مناداته لعبد الله بن ثابت الكنيّة (أبا الرّبيع) وذلك في التّعبير عن حزنه وأساه لفراقه الحياة، ومن شدّة حبّ الرّسول لعبد الله بن ثابت ناداه بكنيته، فهذا يدلّ على حسن العلاقة التّي بينهما والمحبّة والمودّة التّي تجمعهما.

فالإشاريّة الاجتماعيّة هنا هي الكنيّة وقد عبّرت ووضّحت نوع العلاقة التي تجمع المتكلّم والمخاطَب.

ثالثا: الآليات الحجاجيّة.

نجد هنا أحاديثّ الرّسول قد احتوت على هذه الأساليب والآليّات الحجاجيّة لتساعد على ترابط النّص وانسجامه، إضافة إلى توجيه المتلقّي إلى المعنى المراد ومن بين تلك الآليّات نذكر:

(*) مرماتين: المرماة هي ما بين طلفي الشّاة واللّحم.

(1) مالك بن أنس، الموطّأ،كتاب صلاة الجمعة، باب فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذّ، الحديث الثّالث، ص 82.

(2) المصدر نفسه،كتاب الجنائز، بابا النّهي عن البكاء عن الميّت، الحديث الأوّل، ص 226.

3-1- الرّوابط والعوامل الحجاجيّة:

3-1-1- الرّوابط الحجاجيّة:

كل لغة تشتمل على مؤشّرات لغويّة تدلّ على الحجاج، واللّغة العربيّة لا تخلو من هذه المؤشّرات بل هي ثريّة بها لاسيما النّصوص التّراثيّة بما في ذلك نص الحديث النّبوي الشّريف لما يحمله ويختصّ به من خصائص تميّزه عن غيره من النّصوص.

من بين الرّوابط الحجاجيّة الموجودة في الحديث نجد الرّابط (الواو) في قوله: «**لَيْسَ عَلَى المسْلِمِ في عَبْدِهِ وَلاَ في فَرَسِهِ صَدَقَةٌ**»(1).

فالرّابط الحجاجي (الواو) هنا وصل بين الحجّة الأولى (ليس على المسلم في عبده) والحجّة الثّانية (ولا في فرسه)، وقام بترتيبها في تسلسل منّظم لتقويّة النّتيجة المطروحة وهي أنّه ليس على المسلم صدقة لا في عبده ولا في فرسه، كما عملت على ترتيب الحجج ترتيبا أفقيا وجعلت الوصول إلى النّتيجة واضح لا لبس عليه.

ويقول أيضا: «**مُرْهُ فَليراجعها ثمّ يمسكها حتّى تطهر ثمّ تحيض ثمّ تطهر ثمّ إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلّق** ...» (2).

هنا الرّابط (ثمّ) عمل نفس عمل (الواو) قام بربط الحجج أفقيّا في نظام تسلسلي محكم للوصول بوضوح إلى الحكم المقصود والنّتيجة المطروحة وهي بعد أن تحيض المرأة ثمّ تطّهر ثمّ تحيض ثمّ تطهر مرّة أخرى وجب على زوجها تطبيق الحكم إمّا بإمساكها وإمّا بطلاقها. فالرّابط (ثمّ) جعل هذا الحكم واضح ومفصّل من خلال عرض الحجج في تسلسل.

ويقول في موضع آخر: «**أمكثي في بيتك حتّى يبلغ الكتاب أجله**»(3).

الرابط الحجاجي هنا هو (حتّى) جمع بين حجّة ونتيجة، فالحجّة هي أنّ على المرأة المتوّفّى عنها زوجها لا يجب أن ترجع لبيت أهلها قبل فوات المكتوب من العدّة؛ وهي عدّة الأيّام التي تبقاها المرأة في بيتها بعد وفاة زوجها وتقدّر بأربعة أشهر وعشرا، ولما تنتهي هذه المدّة يحقّ للمرأة العودة لأهلها.

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الزّكاة، باب ما جاء في صدقة الرّقيق والخيل والعسل، الحديث الرّابع والثّلاثون، ص 161.
(2) المصدر نفسه،كتاب الطّلاق، باب ما جاء في الأقراء وعدّة الطّلاق وطلاق الحائض، الحديث الحادي والعشرون، ص 322.
(3) المصدر نفسه، كتاب الطّلاق، باب مقام المتوفّى عنها زوجها في بيتها حتّى تحلّ، الحديث الرّابع والعشرون، ص 331.

فالرّابط (حتّى) جاء بعد الحجّة ليؤكّد النّتيجة ويزيد من قوتّها ويوضّح الحكم الذي تضمّنته الحجّة.

ونجده في حديث آخر أيضا يقول: «**مَا لكَ ولها معهَا سِقَاؤُها وحِذاؤها تَرِدُ الماءَ وتأكُلُ الشَّجَرَ حتّى يلقاها ربُّها**»(1).

هنا أيضا نجد الرّابط (حتّى) ربط بين حجّة ونتيجة، ألا وأنّ الحجّة هي أنّه عندما يجد عبد ما شيء ما على الأرض لا يجب أن يأخذه مباشرة لنفسه، بل يجب أن يذكره للنّاس فإذا جاء صاحبه وأخذه فيؤدّيها إليه وإن لم يظهر فليلزم شأنه حتّى يجيء مالكها ويبحث عنها.

فالرّابط الحجاجي في هذا الموضع زاد من قوة الحجّة ومنه في قوة النّتيجة وبالتّالي فالنّتيجة ضمنية، لأنّ الحجج التّي تقترن بالرّابط (حتّى) تكون قويّة لا يمكن التّعارض عليها ولا تقبل الإبطال.

وفي حديث آخر نجده يستخدم الرّابط (لكنّ) ويقول: «**لا ولكنّه لم يكن بأرضِ قومي فأجدُني أعافُه**»(2).

ففي هذا الحديث نجد (لكنّ) تعمل تعارضا حجاجيّا مع ما يتقدّمها وما يتلوها، فالقسم الأوّل –موجود في سند الحديث– وهو أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لما أتوه بضبّ مشوي بالحجارة المحماة ليأكله رفض ذلك ورفع يده فقالوا له هل هذا حرام –أي أكله– فقال لا ... فهذه حجّة تخدم نتيجة ضمنيّة من قبيل أن أكل الضبّ ليس بحرام، أمّا القسم الثّاني وهو جوابه صلّى الله عليه وسلّم وهو أنّ الضبّ لم يكن بأرض قومه فوجد نفسه يكرهه ويعافه ويشمئزّ أكله، فهذه حجّة ثابتة تخدم نتيجة مضادة للأولى من قبل أنّ أكل الضبّ ليس بحرام ولكنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يعافه وينكره ولا يأكله.

وبالتّالي تكون الحجّة الثّانية هي الأقوى وبهذا توجّه القول نحو النّتيجة المضادة وهي النّتيجة الضّمنيّة، وعليه فإنّ الرّابط الحجاجي (لكنّ) أدّى وظيفتين الأولى للحجاج في القسم الأوّل من الحديث والثّانية للإبطال في القسم الثّاني منه.

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الأقضيّة، باب القضاء في اللّقطة، الحديث الثّامن والأربعون، ص 420.

(2) المصدر نفسه، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في أكل الضبّ، الحديث التّاسع، ص 536.

وهناك روابط حجاجية أخرى لم نتطرق إليها مثل: لام التّعليل وكي وبما أنّ ...، واعتمدنا هذه الرّوابط بسبب أنّها متواترة بكثرة في الأحاديث حيث انتقينا الأحاديث التّي ربطت فيها هذه الروابط بين الحجج بشكل منتظم وأدّت إلى نتيجة ضمنية، إضافة إلى القيّم الحجاجيّة التّي تحملها.

3-1-2- العوامل الحجاجيّة:

ممّا هو متواتر في الأحاديث من العوامل الحجاجيّة بكثرة العامل الحجاجي (لا- إلاّ) ومن أمثلته: قوله صلّى الله عليه وسلّم: «**أليس يَشُ أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمّدا رسول الله؟**»[1].

إذا حلّلنا هذا القول حجاجيا نجد أنّ الحجّة (لا إله إلاّ اللّه) تسير في اتّجاه واحد وهو بالرّغم من تعدّد الآلهة التّي يزعمها النّاس إلاّ أنّ الإله واحد، وبالتّالي فإنّ هذه الحجّة تخدم نتيجة ضمنية من قبيل أنّ اللّه واحد أحد لا شريك له.

ويقول أيضا: «**لا يزال أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلاّ الصّلاة**»[2].

هنا في هذا الحديث حجّة يدعمها العامل (لا- إلاّ) وهي (لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلاّ الصّلاة)، هذه الحجّة تسير هي الأخرى في اتّجاه واحد من قبيل أنّه جميع الأمور والانشغالات الأخرى لا تمنعه من العودة والرّجوع على بيته وأهله إلاّ الصّلاة فإنّها تمنعه عن ذلك، وبالتّالي فإن هذه الحجّة تخدم نتيجة ضمنيّة وهي أنّ الصّلاة هي الوحيدة التّي تمنع صاحبها من الرّجوع إلى البيت وذلك لتأديتها في وقتها، حيث أنّ هذا المنع ليس بسلبي بل من الإيجابيّات لما فيه من أجر وثواب لأنّه يدخل في الطّاعات والعبادات.

3-2- الأفعال اللّغويّة:

في هذا الجزء سنقوم بتحليل بعض الأحاديث التّي تتوفّر على مجموعة من الأفعال اللّغويّة كالاستفهام والأمر والنّهي ... التّحليل لن يكون من منظور الأفعال الكلاميّة بل من منظور الحجاج لنرى كيف تعمل حجاجيّا.

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب قصر الصّلاة في السّفر، باب جامع الصلاة، الحديث التسعون، ص 105.

(2) المصدر نفسه، كتاب قصر الصّلاة في السّفر، باب انتظار الصّلاة والمشي إليها، الحديث الثّامن والخمسون، ص 33.

3-2-1- الاستفهام:

وظيفة الاستفهام دائما ما تكون ظاهرة جليّة في أي خطاب؛ إذ تخلق نوعا من التّفاعل والإثارة والتّشويق بين طرفي العمليّة التّواصليّة أي بين المتكلّم والمتلقّي، والاستفهام في الأحاديث النّبويّة هو استفهام حجاجي يفضي إلى نتيجة مقصودة.

ومن بين أمثلته قوله –صلّى الله عليه وسلّم-: «**أليس يَشْهَدُ أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمدا رسول اللّه؟**»[1].

الاستفهام في هذا الحديث يمكن أن نعتبره حجّة تخدم نتيجة ضمنيّة؛ إذ الرّسول من خلال استفهامه هذا للرّجل الذّي أتاه واستأذنه ليقتل رجل من المنافقين معرفة الأسباب لقتل هذا المنافق، لأنّ اللّه عزّ وجلّ نهى عن قتل المنافقين إلاّ بإقامة دليل، فالرّسول هنا لم يستفهم لغرض الإعلام أو انتظار الجواب من السّائل بل بغرض التّوكيد والإثبات.

فالاستفهام هنا حجّة موجّهة للسّائل ليعيد النّظر في أحكام الله وأوامره ونواهيه.

وفي مثال آخر أيضا نجده يقول: «**ما تَرَوْنَ في الشّاربْ والسّارقِ؟**»[2].

الرّسول هنا يخاطب الصّحابة مستفهما بماذا يرون في الشّارب والسّارق وهل تُقبَل صلاتهم، فهذا الاستفهام عبارة عن حجّة تخدم وتثبت نتيجة من قبيل أنّ السّارق والشّارب لا يتمّ ركوعهما ولا سجودهما ولا تقبل لهما صلاة؛ إذ عبّر عن إثباته لهذه الحجّة بأسلوب استفهام غير حقيقي الغرض منه ليس انتظار الجواب بل التّأكيد على حكم صلاة الشّارب والسّارق حتّى يتبيّن لكلّ أمر حكمه، فالاستفهام هنا جاء كحجّة قويّة لتحقيق النّتيجة الضّمنية المقصودة.

وقد تعمّد الرّسول في كثير من الأحيان إقناع المتلقّي عن طريق تحرّي أسلوب الاستفهام بشتّى أنواعه لأنّه من أنجع الأساليب وأقواها حجّة على المتلقّي لاسيما عندما يكون الاستفهام غير مباشر أو غير حقيقي، فيعدّ حجّة قائمة بذاتها مثل ما تجلّى في كثير من أحاديث الرّسول التّي لا يسع المقام لتحليلها.

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب صلاة اللّيل، باب جامع الصّلاة، الحديث الرّابع، ص 156.

(2) المصدر نفسه، كتاب قصر الصّلاة في السّفر، باب العمل في جامع الصّلاة، الحديث الرّابع، ص 154.

والحديث النّبوي بدوره يحمل طاقة حجاجيّة تكمن في المقاصد الحقيقيّة التّي يهدف الاستفهام لتحقيقها وإثباتها.

3-2-2- الأمر:

الأمر من الأساليب الإنشائيّة الطّلبيّة في البلاغة العربيّة، يدلّ على طلب حصول الفعل على وجه الاستلزام والاستعلاء، فهو صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء[1].

والحديث الشّريف يكثر فيه الأمر لطبيعة ونوع الخطاب ومقتضيات السّيّاق والمقام، ومن أمثلته قوله صلّى الله عليه وسلّم: «**ابتاعيها فاعتِقيها فإنّ الوَلاءَ لمن اعتَقَ**»[2].

إذا تأمّلنا هذا المثال جيّدا نجد أنّ الفعل (ابتاعيها) أمر أصدره الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– بموجب أنّه من يرجع إليه إصدار الأوامر بعد الله سبحانه وتعالى، والمخاطَب أو المتلقّي في هذه الحال لابد أن يخضع لقول الرّسول، ومنه نفهم بأن الرّسول أقام على المتلقّي الحجّة باستخدامه لأسلوب النّداء لأن الفعل اللّغوي (ابتاع) يعمل حجاجيّا، لأنّ القول (ابتاعيها فاعتقيها ...) هو حجّة تخدم نتيجة مفادها هو أنّ ما يقوله الرّسول هو الأصحّ والأخير والأصوب.

وفي حديث آخر كذلك يقول: «**اكتالوا حتّى تستوفوا**»[3].

نلاحظ هنا أنّ الفعل اللّغوي (اكتالوا) هو فعل بصيغة أمر أصدره الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لفئة التّجار والبائعين ويأمرهم بالبيع بالكيل والميزان الصّحيح، فالفعل هنا خدم نتيجة ضمنيّة وهي أنّ على التّاجر البائع أن يكيل حتّى يستوفي الميزان لما في ذلك من خير وأجر له من أن ينقص للنّاس أشياءهم ويصبح من المطفّفين، فالأمر الذي أصدره الرّسول هنا هو حجّة عليهم وجب الأخذ بها.

3-2-3- النّهي:

النّهي هو الآخر من الأساليب الإنشائيّة الطّلبيّة يدلّ على الأمر أيضا لكنّه أمر بالتّرك على

(1) يحي بن حمزة العلوي، الطّراز المتضمّن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: محمد عبد السّلام شاهين، دار الكتب العلمة، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 532.

(2) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب العتق والولاء، باب مصير الولاء لمن أعتق، الحديث العاشر، ص 433.

(3) المصدر نفسه، كتاب البيوع، باب النّهي عن بيع الثّمار حتّى يبدو صلاحها، الحديث العاشر، ص 345.

عكس الأمر بالطّلب؛ أي الأمر بالانتهاء من فعل شيء ما، وهو متواتر بكثرة في خطاب الرّسول. من ذلك قوله: «**لاَ تُبَايْعُوا التَّمْر حتَّى يَبْدُو صَلاَحُها ولاَ تَبِيعُوا الثَّمرَ بالتَّمرَ**»[1].

في هذا الحديث وجود للنّهي مرّتين ويتجلّى ذلك في الفعل اللّغوي الأوّل وهو (لا تبايعوا...) يخدم نتيجة ضمنية مفادها لا يجوز بيع الثّمر حتّى يبدو صلاحها أي نضجها واكتمالها، والفعل الثّاني (لا تبيعوا) هو الآخر يخدم نتيجة ضمنية من قِبَلِ أنّه لا يحدث البيع بن اللاّمتشابهات.

وعليه فإنّ هذه الحجج جاءت في صيغة النّهي تحمل نتيجة ضمنية واحدة وهي الامتناع عن البيع إن لم يستوف هذه الشّروط، فإن استوفاها يصحّ البيع، فالنّتيجة الضّمنية التّي خدمها النّهي ترتّبت عن الحجج التّي لعبت دورا إقناعيّا وتحمل قوّة حجاجيّة في إقامة الحجّة وإثباتها.

3-2-4- الشّرط:

أسلوب الشّرط من الأساليب التّي تربط الأحداث ببعضها البعض، يتكوّن من فعل الشّرط وفعل جواب الشّرط وأداة الشّرط، حيث يتّم الفعل الثّاني بحصول الفعل الأوّل ليبيّن النّتائج وأسبابها، وحديث الرّسول تجلّت فيه هذه الأفعال وهذا الأسلوب وذلك في قوله –صلّى الله عليه وسلّم-: «**من باع نخلاً قد أُبِّرَتْ فثمْرُها لبائع إلاّ أن يشترط للمبتاعِ**»[2].

إذا حللّنا الحديث نجده يتوفّر على الشّرط والذي يتوضّح من خلال (من باع نخلا.... إلاّ أن يشترط المبتاع)، بمعنى أنّ كل بيع لابد له من بائع ومشتر فإذا غاب طرف بطل البيع، والحجّة التّي جاءت في صيغة الشّرط خدمت نتيجة من قبيل أنّ البيع لا بد بل يجب أن يتمّ بين طرفي بالتّراضي.

وفي سيّاق آخر أيضا يقول: «**من مرّ في شيء من مساجدنا أو أسواقها بنبل فيأخذ على نصالها لا يعقر بكفّه مُسْلمًا**»[3].

أسلوب الشّرط هنا جاء على شكل حجّة تخدم نتيجة ضمنيّة مفادها أنّه من يمر على المسجد أو السّوق بنبل لن يمسّه سوء ولن يصيبه شيء غير محبّب.

(1) مالك ابن أنس، المصدر الموطّأ، كتاب البيوع، باب النّهي عن بيع الثّمار حتى يبدو صلاحها، الحديث الحادي عشر، ص 345.

(2) المصدر نفسه، كتاب البيوع، باب ما جاء في ثمر المال يباع أصله، الحديث السابع، ص 345.

(3) المصدر نفسه، كتاب ما جاء في أمر المدينة ،باب ما جاء في المدينة، الحديث الأوّل، ص 496.

وعليه فإنّ الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– وظّف الشّرط بإيجاز ووضوح تام لدفع المتلقّي إلى الانتباه والفطنة لأجل حصول الفهم والتّبيين والإعلام والأمثلة السّابقة وضّحت ذلك لمجيئها حجاجا في شكل أسلوب شرط.

3-3- آليات الحجاج البلاغيّة:

يتوالى الحديث عن الآليّات الحجاجيّة لاسيما البلاغيّة منها التّي سنحلّل نماذج منها حسب ورودها في نص الحديث.

3-3-1- التّفريع:

من الأشكال والصّيغ البلاغيّة ذات الطّابع الحجاجي نجد التّفريع وذلك في قوله –صلّى الله عليه وسلّم–: «**ألا أخبرُكُم بما يمحو اللّهُ به الخطايا ويرفعُ به الدّرجاتِ؟ إسباغُ الوضوءِ عند المكارِهِ وكُثرةُ الخُطَا إلى المساجد وانتظار الصّلاة بعد الصّلاة، فذلِكُمْ الرّباطُ، فذلك الرّباطُ، فذلكم الرّباطُ**»(1).

هنا ذكر المتكلّم وهو شخص الرّسول الكريم حجّته في بادئ الأمر وصاغها في شكل استفهام لاستثارة وتشويق المتلقّي وهي الأشياء أو الأفعال التّي يمحو بها الله الخطايا ويرفع بها الدّرجات، فبطرحه هذا يجعل المتلقّي محلّ التّساؤل والحيرة وحب المعرفة، ثم راح يفصّل في الأعمال التي يمحو الله بها الذّنوب ويعدّدها مع الشّرح والحث في الأخير على القيام بها والإقبال عليها.

فعملية التّفريع؛ أي تفريع الحجّة الرئيسيّة وذكر أجزاءها حافظ بل زاد من قوتّها الحجاجيّة ممّا أكسبها طاقة إقناعيّة لتحقيق نتيجة ضمنيّة.

كما نجد هذا في مثال آخر بقوله: «**يَعْقِدُ الشّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أحدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ: ثَلَاثَ عُقَدٍ، يضرب مكان كلّ عقدةٍ: عليك ليلٌ طويلٌ فَارْقُدْ، فإن استيقظَ فذكرَ الله انحلَّت عقدَةٌ، فإن توضّأ انحلت عقدةٌ، فإن صلّى انحلت عقدةٌ، فأصبح نَشِطا، طيبَ النّفسِ وإلاّ أصبح خبيث النّفس كسلان**»(2).

هنا أيضا أقرّ الرّسول بحجّته وهي أنّ الإنسان لما ينام يعقد الشّيطان على رأسه ثلاث عقد، ثمّ راح يفصّل في هذه العقد ونوع كل عقدة وكيف يمكن تحاشيها وما ينبغي القيام به آنذاك، فلّما ينطق

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الطّهارة، باب جامع الوضوء، الحديث الثّاني، ص 30.

(2) المصدر نفسه، كتاب قصر الصّلاة في السّفر، بابا جامع التّرغيب في الصّلاة، الحديث المائة واثنان، ص 107.

المتكلّم في مثل هذ الموضع بالحجّة فإنّها تبقى على درجة من الغموض فيروح يفصّل في ثناياها فتتوضّح للمتلقّي ويتجلّى له المقصد الحقيقي ويحصل الإقناع تلقائيا لذلك يلعب التّفريع دورًا مهمّا في عملية الحجاج فيكسب الحجّة طاقة حجاجيّة وقبولا لدى المتلقّي.

3-3-2- التّمثيل:

يقصد به تعبير صورة تقوم على تمثيل شيء آخر لاشتراكهما في صفة أو أكثر، سواء أكان حسيّا أو مجرّدا[1].

وتجلّيه في الحديث كان في قوله –صلّى الله عليه وسلّم- «**مثل الجليسِ الصّالح والجليس السّوءِ كحامل المسكِ ونافخ الكير فحاملُ المسكِ إمّا أن يحذِيك وإمّا أن تبتاع منه وإمّا أن تجد منه ريحا طيّبا ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك وإمّا أن تجد منه ريحا خبيثة**»[2].

في هذا الحديث متوالية من التّمثيلات فقام بتمثيل الجليس الصّالح بحامل المسك، والجليس السّوء بنافخ الكير، ثمّ مثّل لصاحب المسك بالرّيح الطيّبة وكير الحدّاد بالحرق والرّيح الخبيثة.

فمن خلال هذه التّمثيلات توضّح لنا الفرق بين بائع المسك ونافخ الكير ومنه تبيّن الفرق بين الصّاحب الصّالح والصّاحب السّيء وما يترتّب عن صحبتهما، فالتّمثيل هنا جاء كحجّة خدمت نتيجة ضمنيّة من قبيل الآثار المترتّبة عن الصّحبة الصّالحة والصّحبة السّيئة.

فالمتلقّي لما يفهم المقاصد التّي جاء التّمثيل ليوضّحها يصبح للتّمثيل قوّة وطاقة حجاجيّة من شأنها أن تزيد المعنى قوّة وإيضاحا وتكسب الحجّة قوّة إقناعية في إقناع المتلقّي.

3-3-3- الاستعارة:

الاستعارة هي إحدى آليّات الحجاج البلاغيّة وهي استعمال اللّفظ في غير محلّه ليزيد من قوّة المعنى وإيضاحه ومنه ليزيد من بلاغة الحجّة، وقد اشتملت أحاديث الرّسول على مثل هذه الآليّة من ذلك قوله –صلّى الله عليه وسلّم-: «**مُرِّي غُلامَكِ النَّجَارَ يَعْمَلُ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسْ عَلَيْهُنَّ**»[3].

(1) يوسف أبو العدوس، التّشبيه والاستعارة، دار المسيرة، عمّان، ط1، 2007، ص 15.

(2) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب حسن الخلق، بابا ما جاء في حسن الخلق، الحديث الأوّل، ص 502.

(3) المصدر نفسه، كتاب الشّعر، بابا ما جاء في المتحابين في الله، الحديث الخامس، ص 528.

في هذا الحديث استعارة شبّه فيها الرّسول الأعواد بالكرسي فحذف المشّبه بع وترك قرينة تدلّ عليه وهي لفظة (النّجار) وفعل (الجلوس) على سبيل الاستعارة المكنيّة، ليدلّ بها على حسن العلاقة بينه وبين الغلام النّجار والمودّة التّي تجمعهما والاحترام المتبادل بينهما.

فعمد الرّسول الكريم في هذا الموضع إلى توظيف الاستعارة لتقويّة المعنى وزيادة تأثيره في المتلقّي وإقناعه بالمقصود الذّي يقصده أو النّتيجة التّي يريد أن يصل إليها.

وعليه فإنّ الاستعارة تلعب دورا حجاجيّا بارزا في مختلف الخطابات ليزيد من حجاجيّة الكلام والتّأثير في موقف ورأي المتلقّي، لذلك عُرِفت مثل هذه الاستعارة بالاستعارة الحجاجيّة لكونها تلك الاستعارة التيّ تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقّي»[1].

3-3-4- البديع:

للبديع دور حجاجي إضافة إلى دوره ووظيفته الشّكليّة الجماليّة لأن جميع أساليب البيان والبديع ليست مجرد عناصر للتّحسين والتّنميق بل هي في الأصل آليات وأساليب للإبلاغ والتّبليغ والإقناع وإقامة الحجّة، وكان لحضورها لأداء وظيفتها الحجاجيّة حظّ في أحاديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم- من مثل قوله: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً علَى ظَهْرِهِ خيرٌ لهُ منْ أَنْ يَسْأَلَ أحدًا فَيُعْطِيهِ أوْ يَمْنَعَهُ»[2].

يتضمّن هذا الحديث محسّنا بديعيّا تمثّل في الطّباق من نوع طباق الإيجاب –الكلمة وعكسها- إذ جمع فيه الرّسول بين لفظين متقابلين في المعنى (يعطيه) و(يمنعه) ليبيّن أنّ من يسعى ويعمل بيديه وعرقه خير له من أن يسأل النّاس ولا يدري إن أعطوه أم ردّوه، عبّر عن ذلك بإبداعيّة من خلال توظيفه للطّباق توظيفا إبلاغيّا حجاجيّا يفضي إلى نتيجة ضمنيّة ويحدث أثرا في المتلقّي ويجعله يتمثّل للأوامر والأفعال والنّصائح التّي جاءت في الحديث.

(1) عمر أوكان، اللّغة والخطاب، أفريقيا الشّرق، المغرب، د ط، 2001، ص 134.

(2) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الكلام، باب ما جاء في ما يؤمر به من التّحفظ في الكلام، الحديث الثّاني، ص 545.

3-3-5- الإيجاز:

للإيجاز أهميّة بالغة لاسيما من النّاحية الحجاجيّة لأنّه يساهم بشكل كبير في الفهم والإفهام وحسن البيان هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يضفي على الخطاب نوعا من التّشويق والإثارة ولفت الانتباه لما يقال، وقد أورد الرّسول في أحاديثه مثل قوله: «**أَفْلَحَ الرَّجُلُ إِنْ صَدَقَ**»(1).

فهنا أوجز ولم يطل في تبليغ رسالته للمتلقّي فسردها في جملة موجزة لا إطناب فيها لكنّها محمّلة بكثير من المعاني والأحكام والنّصائح ومفاد الحديث هو أنّ فلاح الرّجل ونجاحه وفوزه مرتبط بصدْقِه وعليه فالصّدق هو أساس الفلاح في الحياة، هذا إن دلّ على شيء إنمّا يدلّ على أنّ الإيجاز لعب دورا حجاجيّا بامتياز إذ أتى بحجّة رئيسيّة تمثّلت في المعنى الحرفي للحديث وحجج أخرى متضمّنة في البنية العميقة للخطاب وهي الحثّ على الصّدق لأنّه من أنبل الصّفات وأحمدها إضافة إلى ارتباط الفلاح بالصّدق وغيرها من النّصائح والأعمال الحميدة.

فالرّسول هنا مال إلى الإيجاز وعدم الإطالة لكي لا يدفع المتلقّي إلى الملل وبالتّالي الإيجاز هنا حجة خدمت وأفضت إلى نتيجة ضمنيّة من خلال استمالة المتلقّي ولفت انتباهه.

3-4- الآليّات شبه المنطقيّة

3-4-1- السّلم الحجاجي:

السّلمّ الحجاجي هو نظام ترتيب الحجج ترتيبا عموديّا لتحقيق نتيجة ضمنيّة وقد ورد كثيرا في أقوال الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم- من ذلك قوله: «**مَنْ صَلّى صلاتَنَا، واسْتقبلَ قِبلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ المَسْلِمُ**...»(2).

في هذا الحديث أورد الرّسول الكريم مجموعة متتاليّة من الحجج بدءً بالحجّة الأولى وهي (من صلّى صلاتنا) ثمّ (استقبل قبلتنا) ثمّ (أكل ذبيحتنا) وما نلحظه على هذه الحجج أنّها جاءت متصاعدة من الحجّة الضّعيفة إلى الحجّة الأقوى وهذا الشّكل يمثّل ذلك.

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب قصر الصّلاة في السّفر، باب جامع التّرغيب في الصّلاة، الحديث مئة وواحد، ص 107.
(2) المصدر نفسه، كتاب القبلة، باب ما جاء في استقبال القبلة، الحديث السّادس، 116.

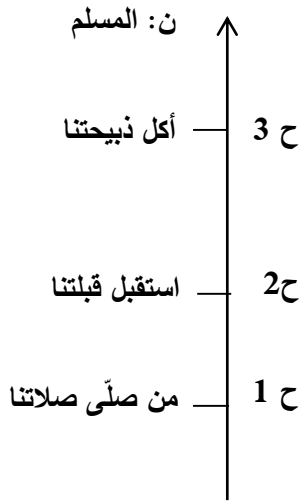

فنلاحظ أنّ (من صلّى صلاتنا) حجّة جاءت في أسفل السّلم لأنّ هناك حجج أقوى منها، فالصّلاة يمكن أن يقوم بها أي شخص كان، أمّا الحجّة الثّانية (استقبل قبلتنا) فهي أقوى من الأولى فتبيان اتّجاه الصّلاة يعني أنّها صلاة خاصّة، ثمّ الحجّة الثّالثة وهي الأقوى من الأوائل (أكل ذبيحتنا) لماذا هي الأقوى؟ لأنّ أكل الذّبيحة من سمات المسلمين فقط وبالتّالي تصبح هي الأقوى، ومنه نستنتج بأنّ المسلم الحقيقي هو من يصلّي صلاتنا المفروضة باتجاه القبلة ويأكل من الذّبيحة.

وعليه يمكن القول بأنّ هذه الحجج جاءت في تنظيم تصاعديّا متسلسل من الأضعف إلى الأقوى للوصول إلى النتّيجة الضّمنية التّي ينبغي على المتلقّي فهمها والتّي تكون هي مركز الحجاج، لذلك يلعب السّلّم الحجاجي دور كبير في عمليّة الإقناع وإثبات الحجّة من خلال نظام التّدرج الذي يتميّز به.

من خلال جميع الأمثلة نستنتج أنّ الحجاج نابع من البلاغة، لأنّ كلّ هذه الآليّات ساهمت في تشكيل البنيّة الحجاجيّة للخطاب وهدفت إلى حدوث الإقناع في الأحاديث النّبويّة وهو المراد من الحجاج.

رابعا: الاستلزام الحواري

ممّا لاشكّ فيه هو أنّ ظاهرة الاستلزام الحواري حظيت ومازالت تحظى بعناية فائقة من قِبل الباحثين التّداوليين الذين يسعون إلى الكشف عن مقاصد وأغراض المتكلّم في أثناء انتاجه وتوجيهه للخطاب، وعن الدّلالات والمعاني التّي يفهمها المتلقي بعد تلقّيه لرسالة الخطاب، وفي هذا الجزء

سنحاول معرفة مدى قابليّة وتقبّل الخطاب النّبوي لآليّات وقواعد الاستلزام الحواري أو بالأحرى التّواصل الضّمني.

يقول صلّى الله عليه وسلّم «**أَصَلَاتَانِ مَعًا؟ أَصَلَاتَانِ مَعًا؟**» [1].

هنا جاء حديث الرّسول (ص) في شكل سؤال مكرّر موجّه لجماعة من المصلّين وجدهم يصلّون شيئا من النّوافل والصّلاة المكتوبة قد قامت، هذا السّؤال المكرّر جاء خادما لنوعين من الدّلالة: النّوع الأوّل دلالة حرفيّة صريحة تمثّلت في كلمات وملفوظات الحديث كما هي مصوّرة والنّوع الثّاني دلالة أو معنى ضمني مستلزم تمثّل في المعنى المضمر الموجود على مستوى البنية العميقة للخطاب يُفهَم من خلال السّيّاق والذي جسّدته القوّة الإنجازيّة لهذا الحديث.

فالمعنى الصّريح محتواه القضوي هو ذلك السّؤال الموجّه من الرّسول (ص) إلى جماعة المصليّن "أصلاتان معا؟ " لكن المعنى الحقيقي للسّؤال هنا ليس صريحا أو تامّا دلّ عليه الاستفهام وإنّما هو مضمر ضمني يدلّ عليه سيّاق الكلام وهو المعنى المستلزم حواريّا وتقديره هو "توقّفوا عن الصّلاة، أنتم على خطأ، ولا يجوز لأحد منكم أن يصلّي شيئا من النّوافل في المسجد إذا قامت الصّلاة المكتوبة، لا يجب أن تُقْضى صلاة فائتة تزامنا مع وقت الصّلاة الحاضرة، لا يجوز تأدية صلاتين معا وتجسّد هذا المعنى المستلزم كان نتيجة لخرق مبدأ الطّريقة والذي جنح فيه الرّسول- صلى الله عليه وسلم- إلى نوع من الغموض عند طرحه للسّؤال بهذه الطّريقة ممّا زاد نسبة اللّبس والإبهام لدى المتلقّي وهم جماعة المصّلين ما جعلهم يتساءلون وهم محتارون لماذا الرّسول خاطبهم بهذه الكيفيّة ولماذا وما السبب...

والجدير بالذّكر هنا هو أنّ الرّسول -صلى الله عليه وسلم- اختار توجيه الكلام للمصلّين عن طريق السّؤال ولم يقدّم لهم الخبر في صورة مباشرة واضحة بل جعله متضمّنا في السّيّاق وهو ما يُعرَف في البلاغة العربيّة بالحذف والاضمار الذي يختار فيه المتكلّم حذف بعض من عناصر الكلام ليترك للمتلقّي فسحة الفهم والإدراك وهذا الحذف البلاغي شكّل الاستلزام الحواري التّداولي الذي يجنح فيه المتكلّم إلى إخفاء المعنى والقصد الحقيقي من وراء خطابه ليجعل من المتلقّي عنصرا فعّالا في الحوار وفهم مقاصده لجعل العمليّة التّخاطبيّة التّواصليّة أكثر فاعليّة وأكثر حيويّة وأكثر إفادة .

كما يمكن أن نذكر أنّ الرّسول -صلى الله عليه وسلم- خاطب قوم المصلّين بأسلوب استفهام مكرّر ليرى مدى انتباههم لما يفعلون أم أنهم على غفلة من أمرهم، فلم يشاء أن يقدّم الخبر اليقين

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الصّلاة في رمضان، باب ما جاء في ركعتي الفجر، الحديث الثّلاثين، ص 81.

دفعة واحدة وبطريقة مباشرة لأنّه يعلم مسبقا بأنّ هؤلاء القوم خاليي الذّهن بأمر هذه وأنّ الرّسول (ص) مرتبط بهدف تغيير الاعتقاد الخاطئ الموجود في أذهانهم .وعليه نقول أنّ الاستفهام في هذا الوضع زاد من حركة الحوار بين المتحاورين وطريقة وروده مكرّرا هي التّأكيد على الأمر أو القضيّة التّي دار حولها الحوار، حيث أنّ التّكرار خدم غرضا تداوليّا هو إقرار المعنى في نفس السّامع والتّأثير فيه، كما تشير إلى أنّ العديد من أحاديث الرّسول –صلى الله عليه وسلم– جاءت في صيغة استفهام لكنّها خرجت عن معانيها الأصليّة _طرح السّؤال بغرض إيجاد الجواب _إلى معان فرعيّة مستلزمة تمثّلت في التّقرير والتّأكيد والتّوجيه والإرشاد.

وفي حديث آخر لما قام الرّسول –صلى الله عليه وسلم– وصلّى ثمّ رجع وإذا به يرى رجلا في مجلسه ولم يُصَلّ معه قال له: «**مَا مَنَعَكَ أنْ تُصَلِّي معَ النَّاسِ؟ ألَستَ برجلٍ مسلمٍ؟ فقال بلَى يارسولَ اللهِ**» [1].

في هذا الحوار الذي قام بين الرّسول (ص) ورجل من بني الدِّيل يقال له بسربن محجن خرق وانتهاك لمبدأ الكم، لأنّ الرّسول (ص)سأله عن أمرين اثنين الأوّل مفاده "ما هو الشّيء الذي منعك من تأدية الصّلاة في المسجد مع الإمام.

والثّاني مفاده "أأنت مسلم أم لا"، فأجاب الرّجل عن السّؤال الثاّني فقط بالرّغم من أنّ الأسئلة واضحة ومباشرة، فكانت إجابته أقل من المطلوب ممّا يستلزم هذا أن يفهم الرّسول (ص) أنّ الرّجل مسلم أوّلا وأنّه قد أدّى صلاته إمّا في بيته وإمّا في مكان آخر، المهمّ هو أنّه أدّاها ولم يتركها، فكان جدير بالرّجل أن يجيب" بلى يا رسول الله ولكنّي أدّيت الصّلاة في بيتي مثلا... "فالمعنى الحرفي للحديث هو إجابة الرّجل التّي كانت أقل مما هو مطلوب في السّؤال أمّا المعنى الضّمني المستلزم هو ذلك القصد الذي ينبغي على الرّسول فهمه انطلاقا من السّيّاق واعتمادا على إجابة الرّجل، فكونه مسلما هو بطبيعة الحال مصلّي، فلا ترتبط صفة المسلم بغير المصلّي، فالصّلاة عماد الدّين والدّين هو الإسلام وكلّ مسلم مصلّي وكلّ مصلّي مسلم .فبعد أن فَهِمَ الرّسول ما اسْتُلْزِمَ حواريّا ردّ على الرّجل بقوله "إذَا جئتَ فصَلِّ مع النّاسِ وإن كنتَ قدْ صلّيتَ" وهو إشارته إلى أنّ الصّلاة في المسجد مع الإمام واجبة سواء صلّيت قبلها أم لا، فلّما يحضر الإمام ويحين الوقت تقام الصّلاة .وعليه يمكن القول أنّ إجابة الرّسول أثارت في نفس الرّسول التّساؤل والبحث عمّا يخفيه ذلك الرّجل من معان

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب صلاة الجماعة، باب إعادة الصّلاة مع الإمام، الحديث التّاسع، ص 84.

وهذا ما زاد العمليّة التّخاطبيّة نجاحا وحيويّة ونشاطا ممّا جعل التّواصل بين المتكلّم والمتلقّي فعّالا وجعل الرّسالة أو فحوى الخطاب مزدوج الأوجه أو مزدوج المعنى معنى ظاهر صريح ومعنى مضمر خفي، هذا ما يجعلنا نفهم بأنّ المستلزم من الكلام حواريّا له فاعليّة ودورا مهمّا في إنجاح وإثراء دورة التّواصل وذلك بتوجيه رسالة أخرى تبيّن مدى فهمه، وبهذه الطّريقة يتشكّل ويتجسّد مفهوم الحوار والتّواصل الفعّال الذي يفضي إلى نتيجة ويحقّق هدفا مقصودا. ونستخلص ممّا سبق أنّ السّؤال النّبوي يتميّز بالحيويّة والتّفاعل، لأنّه يجعل فعل الكلام فعلا إيجابيا تتحقّق فيه حضوريا عناصر عمليّة الاتصال الثّلاثة المرسل والمرسل إليه والرّسالة، وبخاصّة أنّ ذلك كان يتّم مشافهة، كما أنّه يحترم العقل من خلال التّفاعل اللّغوي المباشر الذي يتيحه للمشاركين في الفعل في سيّاق محدّد، ومن ثم يجرون نشاطا منّظما تعاونيّا. الخاصيّة الأخرى المتجليّة في السّؤال النّبوي، هي خاصيّة الإقبال المتواصل على المخاطب، وهي قضيّة غاية في الأهميّة في مجال التّواصل، لما فيها من ضمان لنجاح عمليّة التّواصل بكل أبعادها التّداوليّة، وهي خاصيّة ينفرد بها الحديث النّبوي الشّريف عن غيره من كلام البشر[1].

وفي موضع آخر أيضا نجده يقول «**إنّ اليهود إذا سلّم عليكم أحدُهم فإنّما يقول السّام عليكم فقل عليكَ**»[2]. وفي هذا الحديث خرق لمبدأ الطّريقة من قِبل الرّسول (ص) لأنّه خاطب المتلقّي- الصّحابة ومن تبعهم- وأخبرهم بأنّه عندما يلقي عليك اليهود السّلام ويقول «السّام عليكم» يجب أن ترد بمثله وتقول "" عليك"" ولم يوضّح السّبب من وراء هذا الرّد إضافة إلى أنّه لم يوضّح أيضا معنى "السّام عليكم" التّي يتلفّظ بها اليهود، وفي هذا حدوثٌ للالتباس والغموض لدى المتلقّي ووقوعه في التّساؤل والحيرة .ومن خلال هذا نفهم بأنّ الحديث تضمّن معنيين، معنى صريح ظاهر وهو ما يتجلّى من ظاهر الحديث ومعنى ضمني مستلزم يستلزم فهمه رؤية معمّقة لمقاصد الحديث .والمعنى المقصود من خلال هذا الحديث هو أنّ اليهود لما تسلّم على أحد فإنّها تقول "السّام عليكم" أي يصيبكم السّأْمُ وهو الموت والسّآمة في الدّين حتّى يتثاقلو في نشره والدّفاع عنه، وتطبيق أحكامه، لذلك دعا الرّسول (ص) إلى الرّد عليهم بمثل ما قالوا "عليكم" لتعود الدّعوة عليهم هم

(1) وليد بركاني، تداولية الحديث النبوي الشريف دراسة في سنن أبي داود (رسالة دكتوراه)، جامعة باجي مختار عنابة، 2016 ، ص 203.

(2) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب السّلام، باب ما جاء في السّلام على اليهودي والنّصراني، الحديث الثّالث، ص 532.

أيضا، لأنّه إذا ردّ عليهم بمثل كلامهم فإنّه بطبيعة الحال سيفهمون بأنّ ما دعوا به سينقلب عليهم . فالرّسول (ص) هنا كان غامضا بعض الشّيء لغرض جعل المتلقّي يتأمّل معاني الحديث المضمرة، إلاّ أنّه كان أجدر به أن يقول "إذا سلّم عليك اليهودي وقال السّام عليكم وهو يعني الموت فرُدَّ عليه بعليك..." لكنّ الرّسول غالبا ما يستخدم أساليب أكثر بلاغة ليضفي على الحديث والقضيّة التّي يتناولها نوعا من التّشويق والإثارة وذلك لجلب انتباه المتلقّي واستمالته، فلمّا حذف بعض عناصر الكلام تولّد استلزام حواري هذا الأخير فعّل العمليّة التّواصليّة بين المتخاطبين وجعلها أكثر حيويّة . كما يقول أيضا: «**أرأيتُم لو يغتسِل منه كلَّ يومٍ خمسَ مرّاتٍ هل يبْقَى من دَرَنِه شيءٌ؟ قالو: لا يبقى من دَرَنِه شيءٌ، قال: فذلك مثلُ الصَّلَواتِ الخمسِ يمحو اللهُ بهنَّ الخطايَا أنَّ نهرا ببابِ أحدِكُم** »[1]. هذا الحديث أيضا تضمّن معنيين أحدهما صريح ظاهر والآخر مضمر في البنية العميقة يدلّ عليه السّيّاق العام للحديث، حيث عمِل الرّسول هنا على تصوير أجمل المعاني في سيّاق بلاغي يجذب انتباه جمهور المتلقّين فمن وراء هذا الكلام البليغ حَسَن التّصوير معنى خفي نستلزم منه مكانة الصّلاة وفضلها فبدلا أن يقول لهم بعبارة صريحة جليّة أنّ الصّلاة هي عماد الدّين وأنّ الله قد أمرنا بها وبأدائها على أحسن وجه وعدم تركها لما لها من فضل على صاحبها تمحو له خطاياه وتنهاه عن فعل المنكر وتحفظه من الوقوع في الفاحشة، عبّر عن كل هذا بأسلوب بلاغي رائع، هو تصويره للصّلاة في صورة منظر طبيعي ما جعل كلّ متلقّي يتخيّل وكأنّ أمام بيته نهر يغتسل منه في كل صلاة .فالقصد الذي يريد الرّسول تبليغه للمتلقّي من خلال أسلوبه الذي اعتمده في الحديث والذي استلزم الكثير من المعاني والدّلالات هو إقناع المتلقّين بأداء فريضة الصّلاة فلا إفراط ولا تفريط فيها لأنّها تهدي صاحبها إلى برّ التّوبة والأمان، وعليه يمكن القول أنّ كل هذه المعاني التّي تضمّنها الحديث بل عبّر عنها بأسلوب الاستفهام خرجت من معناها الأصلي السّؤال إلى معنى مستلزم وهو التّقرير والإخبار والإعلام والنّصح والتّوجيه وكذا التّرغيب على الصّلاة وأدائها وفضلها على المسلمين، وكذا التّأكيد والإلحاح على أجرها وثوابها .والذي جعل المعاني مستلزمة هو إبداع الرّسول وبلاغته على توظيف التّشبيه إذْ أحسن التّصوير بدقّة ما جعل الحديث يحمل معان جمّة قابلة للكشف والفهم في كلّ مرّة.

(1) مالك ابن أنس، الموطأ، كتاب الطّهارة، باب العمل في الوضوء، الحديث الثّاني، ص 25.

خامسا: الافتراض المسبق:

الافتراض المسبق كما أسلف الذّكر هو ما يَفْتَرِضُ المتكلّم صحّته وصدقه قبل أن يصدر كلامه، وهو جزء من المعارف المشتركة بين المتخاطبين أو جزء من الخلفيّة المعرفيّة المشتركة... وأحاديث الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– لا تخلو منه إذ نجده يقول «**مرَرْتُ على موسى فقال: ما فرَضَ اللهُ لكَ على آمَتِكَ؟ قلت: فرَضَ خمسينَ صلاةٍ...**»[1]. في هذا الحديث افتراض مسبق لدى المتخاطبين، فالمتكلّم وهو شخص الرّسول (ص) يعلَمُ مسبقا أنّ الله تعالى فرض على عباده خمسين صلاة، وكذلك موسى فهو على دراية مسبقة بهذا الفَرض ولكنّه طرح سؤاله على الرّسول ليس بغرض الاستفهام والبحث على الجواب بل إنّ استفهامه هنا أيضا خرج عن معناه الأصلي إلى معنى مستلزم وهو أنّ عدد الصّلوات التّي فرضها الله على عباده كثير وأنّ أمّة محمّد غير قادرة على تحمّل هذا العدد، فسؤاله هذا بالرّغم من أنّه يعلم مسبقا جوابه إلّا أنّه جعله حجّة للرّسول (ص) ليعيد النّظر ويرجع إلى الله عزّ وجلّ ليخفض له العدد لما في ذلك من رحمة ورأفة من الله بعباده المسلمين.
فنستنتج من هذا أنّ الخلفيّة المعرفيّة المشتركة بين المتخاطبين هي عدد الصّلوات المفروضة وهي التّي شكّلت افتراضا مسبقا في الحديث، حيث أنّ هذا الافتراض بدوره خدم أغراضا أخرى خرجت عن معانيها الأصليّة إلى معان خفيّة تُفهَم من السّيّاق.

وفي حديث آخر يقول أيضا يقول: «**ما بالُ أقوامٍ يشترطونَ شروطًا ليست في كتابِ اللهِ؟**»[2]. في هذا الحديث افتراض مسبق مفاده أنّ كل ما جاء في القرآن الكريم يجب التّمثّل له والأخذ به وما دون ذلك فهو باطل، فهذه المعلومة أو هذا الحكم معلوم لدى النّاس عامّة بأنّ كل التّشريعات والأوامر النّواهي قد تضمّنها القرآن الكريم فلا جدال فيها، لكنّ الاستفهام الوارد هنا طرحه الرّسول ليس بغرض الاستفهام عن سبب اشتراط النّاس شروط غير موجودة في القران الكريم وإنّما استخدم أسلوب الاستفهام هنا ليجعله حجّة للنّاس تخدم نتيجة ضمنيّة وهي أنّ ما جاء به القرآن هو الأصحّ والأصلح لكل زمان ومكان .ومن خلال ما تقدّم نفهم بأنّ الافتراض المسبق يقوم على خلفيّة معرفيّة مشتركة حتّى ينجح الخطاب ويفضي إلى نتيجة مقصودة والافتراض في أحاديث الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– خدم أمورا كثيرة منها تحقيق الاستلزام الحواري وكذا إقامة الحجّة

(1) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب وقوت الصّلاة، باب جامع الوقوت، الحديث الثّامن، ص 21.
(2) مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن، الحديث الثّاني، ص 122.

والإقناع وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ مباحث التّداوليّة وآليات انشغالها تعمل معا كلّ آليّة مكمّلة للأخرة، فلا انفصال بين عملها. فمن خلال بحثنا كاملا بدءً بالأفعال الكلاميّة وانتهاءً بالافتراض المسبق لاحظنا أنّه تقريبا كلّ حديث يتوفّر على مجموعة السّمات التّداوليّة بطريقة بلاغيّة إبداعيّة؛ هذا كلّه نتيجة لحسن التّوظيف من قِبل الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– فقد جسّد التّداوليّة بآلياتها وسماتها جميعا في أحاديثه وبطريقة إبداعيّة جعلت من أحاديثه قابلة للتّحليل في كلّ زمان ومكان للكشف عن معانٍ جديدة.

خاتمة

خاتمة:

لقد مكّنت الدّراسة التّداوليّة للأحاديث النّبوية التّي تضمّنها موطّأ الإمام مالك من الوصول إلى مجموعة من النّتائج نعرضها كالآتي:

- السّيّاق أداة ووسيلة بارزة ومهمّة في الكشف عن مقاصد المتكلّم.
- من أبرز وأوضح وأنسب المناهج التّي ساعدت ومازالت تساعد على معرفة مقاصد المتكلّم في العمليّة التّواصليّة التّخاطبيّة من طرف المتلقّي المنهج التّداولي الذي جعل من القصد والسّيّاق – المقام التّخاطبي– مركز البحث والكشف في مختلف النصوص والخطابات، وهذا ما لم تهتم به اللّسانيّات البنويّة.
- اللغة وفق آليات ومبادئ المنهج التّداولي ليست مجرّد أداة للتّبليغ والتّواصل فقط بل هي وسيلة تأثير بامتيّاز وهذا ما لاحظناه في الحديث النّبوي الشّريف الذي أحدث تغييرات جذريّة في سلوكيّات واعتقادات وآراء أمّة كاملة بفضل اللّغة .
- نظريّة الأفعال الكلاميّة هي قاعدة ومنطق التّحليل التّداولي، إلاّ أنّها مازالت تشوبها بعض الهشاشة في التّصنيف بسبب التّداخل الموجود بين الأنواع لاسيما في الأغراض الإنجازيّة؛ إذ أنّه وجدنا في الكثير من الأحيان نفس الأغراض تتكرّر في مختلف الأنواع على مستوى الحديث الشّريف لذلك يجب على الدّراسات والأبحاث اللّغويّة العربيّة _أَخُصُّهَا بالذّكر _أن تتوهّج من جديد بعد أن ركدت ريحها وخَبّتْ مصابيحها لإنشاء تصنيف منظّم وواضح للأفعال الكلاميّة ليتسنّى بعد ذلك تطبيقه على النّص القرآني بصدق.
- دراسات الحديث النّبوي ثريّة بما فيه الكفاية لكنّها تحتاج إلى تلوين وسائلها بالمناهج الحديثة، حتّى تُوَظَّف بصورة متجدّدة وهذا مواكبة لمستجدّات وتطوّرات الأبحاث اللّسانيّة.
- التّواصل الذي قام بين الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– هو في حدّ ذاته فعل كلامي غرضه إعلام المخاطَب بمعلومات لم يكن يعرفها من قبل ومازال هذا الإعلام قائما لحدّ السّاعة لأنّ الخطاب النّبوي خطاب أجيال، خطاب لن يأكل عليه الدّهر ولن يشرب، خطاب حي متجدّد قابلا للّدراسة والتّحليل لاستنتاج مختلف القيّم والعقائد والتّوجّهات في مختلف نواحي الحياة.

- معظم الأفعال الكلاميّة الواردة في الحديث جاءت ذات طبيعة حجاجيّة لأنّ الرّسول الكريم هدف فيها إلى إقناع واستمالة المتلقّي بحقيقة الرّسالة التّي جاء بها وهي الدّعوة المحمديّة.
- الأفعال الواردة في الحديث على مختلف أنواعها إضافة إلى الأساليب ليست مقصودة على حقيقتها، وإنّما جاءت لتحقيق أغراض ومقاصد أخرى تضمّنها السّيّاق.
- الإشاريّات بمختلف أنواعها شخصيّة، زمانيّة، مكانيّة، اجتماعيّة تواترت في الحديث الشّريف بكثرة نظرا لطبيعة هذا الخطاب الذي عمد فيه الرّسول إلى تقريب مقاصد الشّريعة الإسلاميّة للعقل البشري مستخدما في ذلك الإشارة بكثرة والتّكرار والظّروف والكُنَى والألقاب وغيرها من الاستعمالات اللّغة المتعدّدة.
- عند تحليل الأحاديث النّبويّة رصدنا استخدام الرّسول لمجموعة من الرّوابط والعوامل الحجاجيّة لربط الحجج وتدرّجها وتنظيمها لأداء وظائفها وتحقيق مقاصدها بصفة أدق وأوضح وهذا باستمالة المتلقّي بمختلف الأساليب والآليّات الحجاجيّة التّي جعلت من العمليّة التّواصليّة تداوليّة بامتياز يتوقّف تركيزها على إدراك القصد وتحقيق الغرض.
- حقيقة البحث في الاستلزام الحواري يكمن في التّواصل الضّمني غير المباشر، أي البحث في القصد أو المعنى الموجود في البنية العميقة للخطاب.
- تتمّ عمليّة التّواصل إلى المعنى المستلزم من العبارة عن طريق مجموعة من الاستدلالات التّي تسمح للمتلقّي بتجاوز الدّلالات الحرفيّة إلى الدّلالات الضّمنيّة المستلزمة.
- تساعد الخلفيّة المعرفيّة لكل من المخاطِب والمخاطَب على الكشف عن القصديّة في السّيّاق، هذه الخلفيّة هي التّي تؤدّي بالمتكلّم إلى توجيه خطابه للمتلقّي انطلاقا من افتراض مسبق حول ما تضمّنه الخطاب من معاني ومقاصد.
- الحوار عبارة عن بنية تتميّز بالتّفاعليّة هذه الأخيرة يخلقها التّفاعل المشترك بين أطراف العمليّة التّواصليّة لبلوغ الهدف والقصد من الحوار التّحاوري
- من السّمات التّداولّية التّي مّيزت أحاديث الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– لا سيما الأحاديث الواردة في الموطّأ أنّها صوّرت وجسّدت الحياة التّي كان يعيشها الرّسول مع الصّحابة آنذاك.

- دراستنا لنص الحديث النّبوي الشّريف أفضى إلى ميلاد حاجة ملحّة لإعادة النّظر في مناهج دراسة التّراث اللّساني العربي لأنّه حقل خصب يفتح الآفاق لاستخراج نظريّة تداوليّة عربيّة تيسّر للباحثين التّطبيق على مختلف النّصوص التّراثيّة.
- مدوّنة البحث تجاوبت بشكل كبير مع أدوات البحث اللّساني الحديثة لاسيما فيما تعلّق بنظريّة الأفعال الكلاميّة والأغراض الإنجازيّة التّي تفضي إليها ممّا جعل الحديث النّبوي وهو يخضع للتّحليل يكتسي ثوبا تداوليّا حديثا زاده جِدَّةً وثراءً.
- وما يجدر ذكره في الختام هو أنّ التّراث العربي ثري بالقيم والسّمات التّداوليّة ما جعله قابل في كلّ زمان ومكان إلى قراءات جديدة من حيث المحتوى والمنهج، فبالرّغم من قِدَمِ زمن الحديث النّبوي إلّا أنّه مسايرا بخصائصه الدّراسات اللّسانيّة التّداوليّة والنّصيّة المعاصرة، وعليه يبقى الحديث الشّريف دائما يحمل مضامين خفيّة يفصح عنها من خلال مقاربات تداوليّة مختلفة.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم بروايتيّ ورش وحفص

1. المصادر

1. ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1972، ج4.
2. ابو المطرف عبد الرحمن بن مروان القنازعي القرطبي الأندلسي، تفسير الموطّأ، تح: عامر حسن صبري، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، قطر، دط، دت.
3. الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 1958، ج2.
4. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 1999.
5. مالك بن أنس، الموطّأ، مراجعة وإشراف:نخبة من العلماء، دار الأفاق الجديدة، المغرب، دط،دت

2. المراجع

1. أبو بكّر العزّاوي، اللّغة والحجاج، العمدة في الطّبع، ط1، 2006.
2. آن روبول وجاك موشلار، التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، تر، سيف الدّين دغفوس، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان،ط1، 2003.
3. جورج يول، التّداوليّة، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط1، 2010.
4. حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الاردن، ط1، 2010، ج1.
5. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، دار القصبة للنّشر، الجزائر، ط1، 2006.
6. رمزي البعلبكي، معجم المصطلحات اللغّويّة، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط1، دت.
7. صابر الحباشة، التّداوليّة والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدّراسات والنّشر، سوريا، دمشق، ط1، 2008.
8. صالح إسماعيل عبد الحق، التّحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
9. طالب هاشم طبطبائي، الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، دط، 1994.

10. طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط1، 1998.
11. عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
12. عليا آيت أوشان، السّياق والنّص الشّعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، دط، 2000.
13. عمر أو كان، اللّغة والخطاب، أفريقيا الشّرق، المغرب، د ط، 2001،.
14. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني من الوعي بالخصوصيّات النّوعيّة للظّاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها، دار الأمان، الرّباط، ط1، 2011.
15. فان دايك، النّص والسّياق: استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشّرق، المغرب،دط، 2000.
16. محمد بن عبد الباقي بن يوسف، شرح الزرقاني على موطّأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، ط1، 1990، ج1.
17. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة، دط، 2007.
18. محمود سليم محمّد مياجنة، الخطاب الدّيني في الشّعر العباسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009م.
19. مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
20. مشعل الحراري، الإمام مالك وأثره في علم الحديث النّبوي، غراس للنّشر والتّوزيع، الكويت، ط1، 2004.
21. نعمان بوقرة، اللّسانيات: اتّجاهاتها وقضاياها الرّاهنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.
22. نواري السّعودي، في تداوليّة الخطاب الأدبي، عالم الكتب الحديث، ط2، 2011.

23. يحي بن حمزة العلوي، الطّراز المتضمّن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: محمد عبد السّلام شاهين، دار الكتب العلمة، بيروت، لبنان، ط1، 1995،.

24. يوسف أبو العدوس، التّشبيه والاستعارة، دار المسيرة، عمّان، ط1، 2007.

المقالات الواردة في المجلّات

25. علجيّة آيت بوجمعة، التّداوليّة دراسة في المجالات والفروع، مجلّة جامعة مولود معمري، تيز وزّو، العدد7، 2010م.

26. سامي شهاب أحمد، البعد التّداولي في الخطاب النّقدي عند المبرّد كتاب الكامل في اللّغة والأدب أنموذجا، مجلّة ديالي، كليّة التّربية للعلوم الإنسانيّة، جامعة كركوك، العدد71، 2016.

النّدوات

27. حورية رزقي، آليات المنهج التّداولي في تحليل النّص الأدبي، ندوة المخبر، المناهج النّقديّة، جامعة محمّد خيضر بسكرة.

الرّسائل الجامعيّة

28. وليد بركاني، تداوليّة الحديث النّبوي الشّريف دراسة في سنن أبي داود (رسالة دكتوراه)، جامعة باجي مختار عنّابة، 2016.

فهرس المحتويات

الشّكر والتّقدير

الإهداء

مقدّمة ..... **أ–د**

مدخل: قراءة في المفاهيم والأسس

أوّلا: التّعريف بالمدوّنة وصاحبها **6**

1– تعريف الحديث النبوي الشريف..... **6**

2- التعريف بالموطأ..... 7

3– التعريف بصاحب المدونّة..... **9**

ثانيا: قــراءة في التّداولــيّة وحدودها..... **10**

1- المفهوم والنشأة..... **12–10**

2- التداوليّة خصائصها ومهامُها..... **14–13**

3– التداوليّة والعلوم الأخرى..... **15–14**

الفصل النظري: السّمات التّداوليّة في موطّأ الإمام مالك

أوّلا: الأفعال الكلاميّة..... **17**

1-1 مفهوم نظريّة الأفعال الكلاميّة..... **17**

1-2 بنيّة الفعل الكلامي وخصائصه..... **19–17**

1-3 تصنيف الأفعال الكلاميّة..... **23–19**

ثانيا: الإشاريّات..... **23**

2-1 أنواع الإشاريّات..... **26–23**

ثالثا: الآليّات الحجاجيّة..... **27**

3-1 الروابط والعوامل الحجاجيّة..... **29–28**

3-2 الأفعال اللّغويّة..... **30 –29**

3-3 آليّات الحجاج البلاغيّة.....30-31

3-4 الآليّات شبه المنطقيّة.....31-32

رابعا: الاستلزام الحواري..... .33

4-1 مفهوم الاستلزام الحواري.....33

4-2 أنواع الاستلزام الحواري.....34

4-3 خصائص الاستلزام الحواري.....35

خامسا: الافتراض المسبق.....35-36

الفصل التّطبيقي: السّمات التّداوليّة في موطّأ الإمام مالك

أوّلا: الأفعال الكلاميّة.....38-50

ثانيا: الإشاريّات..... 50-60

ثالثا: الآليّات الحجاجيّة.....60-71

رابعا: الاستلزام الحواري.....71-75

خامسا: الافتراض المسبق.....76-77

خاتمة.....79-81

قائمة المصادر والمراجع 83-85

الفهرس العام

ملخص

ملخص

دراستنا الموسومة بالسمات التداولية في الحديث النبوي الشريف دراسة نماذج من موطأ الإمام مالك هدفت إلى قراءة التراث بتقنيات منهجية حديثة من أجل الوقوف على الأسس المعرفية التي بنى عليها السلف من أجل تفعيل التراث في الدراسات اللغوية الحديثة، و قد سلطنا الضوء على المباحث التداولية بدء بالأفعال الكلامية وصولا إلى الافتراض المسبق الذين توصلنا من خلالهم إلى جملة من النتائج.

الكلمات المفتاحية: الحديث النبوي، السمات التداولية، الأفعال الكلامية، الإشاريّات، الحجاج، الاستلزام الحواري, الافتراض المسبق.

Summary :

Our study, entitled The Pragmatic traits of the Noble Hadith, is a study of models from the Muwatta of Imam Malik. This study aimed to read the heritage with modern methodological techniques in order to stand on the cognitive foundations upon which the ancient scholars built in order to activate the heritage in modern linguistic studies, and we have highlighted The the deliberative investigations starting with the speech acts up to the presupposition through which we reached a number of conclusions

key words: Prophetic hadith, pragmatic traits, speech acts, denotations, persuasion, dialogical implication, presupposition.

Résumé :

Notre étude, intitulée Les caractéristiques pragmatiques du Noble Hadith, est une étude des modèles du Muwatta de l'Imam Malik. Cette étude visait à lire l'héritage avec des techniques méthodologiques modernes afin de s'appuyer sur les fondements cognitifs sur lesquels les anciens érudits ont construit afin d'activer l'héritage dans les études linguistiques modernes, et nous avons mis en évidence les enquêtes délibératives commençant par les actes de langage jusqu'à au présupposé par lequel nous sommes arrivés à un certain nombre de conclusions

mots clés: Hadith prophétique, traits pragmatiques, actes de langage, dénotations, persuasion, implication dialogique, présupposition.